المشاورة حول الزواج
و
العلاج الأسري









﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾.

(آل عمران / ١٥٩)

المشاورة حول الزواج و العلاج الأسري

الدكتورة: شكوه نوابي نجاد

ترجمة: زهراء يگانه



الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠٥٥٠٤٨٧/٠١ ـ ٠٣/٨٩٦٣٢٩ ـ فاكس: ٥٤١١٩٩ ـ ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري ـ بيروت ـ لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

كلمة المؤلفة:

تتعرض حياة الإنسان بمختلف جوانبها، في المجتمعات العصرية، إلى تحولات سريعة ومدهشة ينعكس طابعها المعقد، وبوضوح تام، على حياة الإنسان، سواء الفردية أو الاجتماعية. ومواضيع: الزواج، الحياة الزوجية وتأسيس الأسرة لا تستثنىٰ من هذه القاعدة، فلأسباب كثيرة منها عدم تعرف كل من الزوجين بشكل تام على الآخر؛ التوقعات الخيالية من الزواج أو الزوج؛ المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، يتحتم على المرأة والرجل اجتياز خبرة قضايا ومشاكل عديدة يتعرضان لها عند تأسيس الحياة الزوجية والحفاظ على قوامها واستمراريتها وكذلك إقامة العلاقات الحميمة مع بعضهما.

والدليل على ما نذهب إليه هو الحقيقة المرة المبنية علىٰ أن القضايا والمشاكل الزوجية والأسرية تقع في التصنيف التشخيصي النفسي على رأس قائمة أسباب مراجعة العيادات ومراكز الخدمات الاستشارية. وهذا ما آل مؤخراً إلى تأليف وترجمة نصوص وكتب عديدة بشأن الزواج

والأسرة، ولكنها قلما تطرقت إلى الجوانب الإدراكية للـقضية، لا سـيما اتخاذ الإجراءات الضرورية الهادفة للحيلولة دون تعرض الحياة الزوجية والأسرية للأذى والمضرات اعتماداً على الدور البناء للمشاورة والعلاج النفسي.

والعلاج الأسري يقوم بشكل عام على أساس اعتبار الأسرة منظومة متكاملة. فتتضمن إجراءاتـه عـمل المشـاور أو المـعالج مـع المـنظومة الأسرية بجميع أفرادها وعناصرها ونمط تـعاملهم مـع بـعضهم البـعض داخل هذه المنظومة. والمشاور أو المـعالج الأسـري يـقيّم فـي الواقـع العلاقات المتبادلة وطرز تعامل أعضاء الأسرة ليتخذ على أساس تقييمه الاجراءات العلاجية بما يتلاءم منها مع الوضع القائم.

يرىٰ علماء النفس الأسريون أن مشاكل الحياة الزوجية والأسرية إنما تمثل في أغلب الأحيان ظاهرة بـيشخصية[1]، أي أن سـلوك أي مـن الأعضاء يترك أثراً مباشراً في سلوك بقية أعضاء الأسرة، وعلى المشاور أثناء المشاورة أو العلاج الأسري أن يرسخ بادئاً مفهوم الأسرة باعتبارها منظومة وأن يحيط علماً تاماً بجوانبها الوظيفية وغير الوظيفية مما يمكنه من تحليل سلوك العائلة بحسب دورة حياة أعضائها، وهذا بالضبط مـا سنتدارسه في هذا الكتاب.

كان الهدف من تأليف هذا الكتاب تحقيق ما لا يقل عن أربعة أهداف

---

١ ـ أي ما بين الأشخاص.

عامة، هي:

١ـ قراءة سريعة لظاهرة الزواج وضوابطه وظروفه.

٢ـ التطرق للأسرة كوحدة اجتماعية والنظريات الخاصة بها.

٣ـ دراسة دور التوعية والمشاورة حول الزواج.

٤ـ تعريف العلاج الأسري وطرز مواجهة الأزمات العائلية.

وقد جهدنا لتأليف هذا الكتاب على نحو يكفل انسياب مضامينه في سياق تحقيق هذه الأهداف. ويتضمن الفصل الأول تحت عنوان «قراءة سريعة لظاهرة الزواج»، الأهداف، الظروف والمعايير الفاعلة في اختيار الزوج والخصائص والعوامل المؤثرة في نجاح الحياة الزوجية.

أما الفصل الثاني فقط اختص بدراسة أهمية الأسرة، التحول البنيوي والتاريخ في الأسرة، دور الحياة الأسرية، العوائل السوية والعوائل غير السوية، العوامل الدخيلة في زعزعة الكيان الأسري والنظريات الخاصة بالأسرة.

ونتدارس في الفصل الثالث موضوع المشاورة حول الزواج والاتجاهات المختلفة فيما يخص المشاورة حول الزواج مع التأكيد على موضوعي التجنب والنضوج، تحليل أسباب تعرض الأسرة إلى الأذى والمضرات وأخيراً الطلاق والعوامل الدخيلة في انهيار الحياة الزوجية.

ونتطرق في الفصل الرابع (العلاج الأسري) إلى تعريف الأهداف، فاعلية وعملية معالجة القضايا ونظريات العلاج الأسري إلى جانب التأكيد على النظرية النظامية للأسرة، التقييم وأساليب مواجهة الأزمات التي تتعرض لها الأسرة. وينظر هذا الفصل بشكل عام في النظرية النظامية إلى جانب غيرها من الاتجاهات النظرية من قبيل: البنائية، الترابطية و.... لينتقي المشاور أو المعالج، مستهدياً بفنونه وخبراته ورؤاه الانتخابية، الاجراء العلاجي المناسب والمستلهم عادة من نظرية ما، بما يتلاءم مع خصائص شخصيته وأساليبه الفردية ويؤمّن زيادة فاعليته وبذلك يصوغ في ذهنه الفرضيات حول بواعث المشاكل في الأسرة وطرق مجابهتها.

وأخيراً نتناول بالبحث في الفصل الخامس: ضرورة اخضاع الزوجين للاجراءات التأهيلية والاستشارية الأسرية، خصائص ومسؤوليات المشاور والمعالج والقضايا الأخلاقية الخاصة بالمشاورة الأسرية.

ولهذا الكتاب أن يعتبر دليلاً ومصدراً نافعاً يلجأ إليه طلبة الجامعات، المشاورون، علماء النفس والأساتذة وجميع العاملين في الحقول المرتبطة بالتوجيه والمشاورة، علم النفس العيادي والإغاثة الاجتماعية.

نأمل أن ينجح هذا الكتاب في مد المشاورين الكرام بالعون للتعاطف فكرياً مع الشباب من الأزواج ومع العوائل ودركهم وإعانتهم لمعالجة

مشاكلهم ومن ثم التمتع بحياة سليمة وهادفة حتى المقدور.

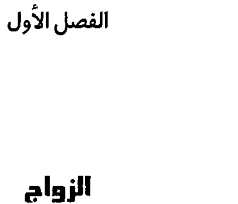
وأخيراً أذعن بأن موضوع المشاورة حول الزواج والعلاج الأسري موضوع لا يمكن استيفاؤه خلال كتاب واحد لما يتسم به من أهمية وسعة. وليس هنالك على هذا الصعيد ما يغنينا عن الحاجة إلى المشاورة حول الزواج والاجراءات العيادية الخاصة بتوجيه الزوجة والزوج وسائر أعضاء الأسرة.

وإنني قبل كل شيء أؤمن بضرورة تحلي المشاور الأسري بخصائص شخصانية مرغوبة، منها: الجدارة بالثقة، كتمان السر، الصدق، الدقة والتعاطف والتعاون مع العوائل، وأن يسعىٰ جاهداً وباستمرار لترقية معلوماته فيما يخص هذا الموضوع الواسع النطاق، موضوع المشاورة والعلاج الأسري.

الدكتورة شكوه نوابي نجاد

الأستاذة بجامعة إعداد المدرسين بطهران

حزيران ١٩٩٧م



الفصل الأول

الزواج

أهمية الزواج

تعريف الزواج: الزواج هو عملية تزاوج بين المرأة والرجل خلال ظروف ومراسيم قانونية، شرعية وعرفية وهو مبادرة ذات دافع حياتي، جسمي ونفسي ينبثق من الفطرة وطبيعة خلق بني الإنسان، وقد أقرها الشرع، القوانين والتنظيمات الاجتماعية على أنها ضرورة من ضروريات حياة كل إنسان. فبما أن الإنسان كائن يتمتع باحتياجات طبيعية واجتماعية في الوقت ذاته، يكون من شأن ظاهرة الزواج أن تلبي لكل من المرأة والرجل الكثير من الاحتياجات الفردية والاجتماعية في إطار الارتباطات الجسمانية والجنسية والنفسية ـ الاجتماعية وسائر المواثيق العرفية والاجتماعية. ويشغل الزواج حيزاً أوسع ونطاقاً أكبر مقارنة مع سائر الارتباطات الإنسانية الأخرى في الحياة وله جوانب حياتية، اقتصادية، عاطفية ونفسية ـ اجتماعية.

ويتطبع الزواج والمواثيق الناشئة عنه بضرب من القدسية حتى يرى البعض أن قدسية الرباط الزوجي يحتسب من أهم مظاهر تمايزه عن غيره من العلاقات البشرية.

أهمية الزواج وضرورته

الزواج رباط مقدس شهد انعقاده جميع الملل والنحل وعلىٰ مر الأزمنة وفي مختلف الأمكنة.. إنها سنة قديمة تبدأ بها المرأة والرجل حياة مشتركة، يتعاهدان خلالها على المعاشرة والتعاضد والتعاطف وعلىٰ أن يجهد كل منهما لمعرفة الآخر حق المعرفة ويعملا على إضفاء السعادة والهناء على حياتهما.. أن يتحابا ويودّعا حياة الوحدة بالزواج.

والزواج حاجة طبيعية يرنو إليها كل من المرأة والرجل ويقرها جميع المذاهب السوية التي تبنتها المجتمعات البشرية لاسيما الأديان السماوية عامة والدين الإسلامي المبين على وجه الخصوص فيحثون أتباعهم للإقبال عليه، ولهذا نجد أن رسول الله كان يؤكد أنه ليس في الإسلام بنيان أحب إلى الله من الزواج.

إنها مسؤولية عظمىٰ تتطلب بادئاً الوقوف على مجموعة من الحقائق، المعلومات والرؤىٰ في سياق تعرف كل من الفتاة والفتىٰ على نفسه، على حياته وعلى الحاجيات، المواهب، الأماني، الطموحات، القيم، التوقعات من الزواج وكذلك التعرف نسبياً على مجالات النضوج العاطفي والسلوكي، لأن انعدام المعرفة التامة والدرك الصحيح عن بعضهما يتسبب

في تبلور الخلافات الأسرية اللاحقة بين المرأة والرجل أو قد يؤدي في النهاية إلى انهيار الحياة الزوجية.

ما هو الهدف من الزواج؟

دوافع الزواج: تشير المؤشرات المتوفرة أن أكثر من ٩٠٪ من أبناء المجتمعات المختلفة يختبرون الزواج ولو لمرة واحدة على الأقل على مر حياتهم (جليك[1] ١٩٨٠). ولكن من الملفت للانتباه أن الدوافع الأساسية للزواج قد تعرضت في أيامنا هذه إلىٰ تحولات مدهشة مقارنة مع ما كانت عليه في الماضي.

إن الأهداف المتوخاة من الزواج لم تتماثل في العصور المختلفة وإن احتفظ الزواج وسيحتفظ دوماً بمكانته باعتباره وحدة عالمية. فالزواج من الناحية التقليدية كان أداة يتخذها المجتمع لتنظيم السلوك الجنسي بين أعضائه وشؤون التناسل والحفاظ على الوضع الاقتصادي للوحدة الأسرية. إن هذه الأهداف وإن كانت ما تزال تحظىٰ بتقبل المجتمعات السوية إلا أن الأخصائيين في شؤون الأسرة راحوا يذكرون للزواج أهدافاً أساسية أخرىٰ. والأهداف الثلاثة العامة التي تتبناها المجتمعات العصرية هي:

أ ـ الحب والوئام.

---

1. Glick.

ب ـ المعاشرة.

ج ـ تلبية التوقعات.

أ ـ نعني بالحب والوئام المشاعر الايجابية العميقة التي يختبرها كل من المرأة والرجل إزاء الآخر فيما بعد الزواج، ومن عناصرها: العناية، العلاقة الحميمة، التقارب، تكوّن العلاقة الطيبة والميول الجنسية.

ب ـ يقدم الأشخاص على الزواج بسبب الحاجة إلى المعاشرة، فالمعاشرة ضرب من الوئام يخامرنا تجاه من يشتد تعلقنا بهم، أي أنه يمثل في الواقع تبادل الخبرة مع من نحب ونغرم به ويتقبل أحدنا الآخر بناء على ما هو عليه، لا غير.

ج ـ وأخيراً يبادر المرأة والرجل إلى الزواج بغية تلبية توقعاتهما.. وتتراوح التوقعات من الحياة الزوجية والأسرية بين حدها العقلاني الواقعي والخيالي اللا واقعي. وبتعبير آخر ينبغي على الزوجين أن يحددا توقعاتهما من النفس، الزوج وعلى العموم من الزواج. ويزداد ثبات الحياة الأسرية كلما كانت هذه التوقعات أكثر واقعية. يعرف سيجر[1] (١٩٧٦) مثل هذه التوقعات بأنها: سمات معينة ومزايا خاصة نتوقع استحصالها من الزواج بشكل عام ومن زوجنا بشكل خاص. أي بتعبير عام يؤمن الأزواج العصريون أن الزواج يلبي مجموعة من احتياجاتهم النفسية، ولهذا نرىٰ أن كلا النوعين من التمنيات، الخيالية والواقعية، تمثل في واقع

1. Siger.

الأمر، الأساس الذي يشيد عليه صرح زواج المرأة والرجل.

أهداف الزواج

يعد الزواج من ضروريات حياة الإنسان إذ أنه يؤمن له تحقيق أهداف وتلبية احتياجات لا حصر لها، ومنها: استحصال السكينة والراحة، تلبية المتطلبات الجنسية، بقاء النوع الإنساني، الرقي والتكامل الفردي والاجتماعي، الصحة والضمان الفردي والاجتماعي وأخيراً تلبية المتطلبات النفسية ـ الاجتماعية للفرد.

١ ـ توفير بيئة مناسبة للسكينة والراحة:

تعتبر التعاليم الإسلامية، حاجة الإنسان الفطرية إلى السكينة والراحة أحد أهم أو قد تكون أولى الدوافع المحفزة للزواج، إذ أن الزواج يشيّد الصرح الذي يشعر فيه الزوجان بالسكينة، فالزوجة سكن ومبعث الراحة النفسية للرجل، والرجل كذا بالنسبة للمرأة وكلاهما بحاجة لمزاملة الآخر. قال الله سبحانه وتعالىٰ عند تحديد فلسفة الزواج في الآية (٢١) من سورة الروم:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾.

إن إمعان التفكير في هذه الآية الشريفة يؤدي بنا إلى أن الزواج لا يحتسب وسيلة لتلبية المتطلبات الجنسية فحسب بل تستهدف العلاقات

الزوجية بين المرأة والرجل ما هو أسمىٰ شأناً من إشباع الغريزة الجنسية فإنها طريق خلاص الفرد من الوحدة وملجأ للتعبير عن مكنون النفس وتهدئة البال، الإفصاح عن الصداقة والتآلف والمحبة والمودة، وعلى العموم وسيلة لنيل السكينة والراحة والتكامل.

٢ ـ تلبية المتطلبات الجنسية:

يشعر الإنسان بمجموعة من الغرائز والاحتياجات التي يؤدي إهمالها والقصور في تلبية أي منها إلى زعزعة الشخصية. ومن أقوى الغرائز البشرية تأثيراً في الإنسان هي الغريزة الجنسية التي يفي الزواج دوره في تلبية متطلباتها بشكل طبيعي قويم، ويحصن المرأة والرجل من الانحراف والانزلاق في هاوية الإثم. إذاً الوسيلة الطبيعية الوحيدة لتلبية متطلبات هذه الغريزة هي الزواج وتأسيس الأسرة ولهذا يؤكد الحديث النبوي الشريف أن المتزوج قد حفظ نصف دينه أو أنه على الراغب في لقاء الله طيباً متطهراً أن يتزوج.

ينبغي أن لا نحدد موضوع أهمية تلبية المتطلبات الجنسية بجانبه المادي والجسمي فقط لأن الإنسان ينعم نفسياً وذهنياً وأخلاقياً بالسكينة والراحة إثر تلبية هذه الحاجة الجسمية. بناء على ما سلف يتمكن الفرد بعد الزواج من تلبية هذه الغريزة الحياتية المهمة وبالتالي نيل السكينة والراحة بأسلوب سوي ومعقول ومقبول اجتماعياً.

٣ ـ الإنجاب والحفاظ على النوع الإنساني:

من المواضيع الهامة الأخرى المأخوذة بالحسبان في زواج الفتيات والفتيان ويعد من عظيم منجزات الزواج هو قضية الإنجاب والحفاظ على بقاء النوع الإنساني. وبتعبير آخر يعتبر إنجاب أطفال يكونون بحاجة إلى تربية وتنشئة صحيحة من الأهداف الأساسية للزواج، فوجود الأطفال يضفي طابع الدفء والهادفية والصفاء على الصرح الزوجي ويبث فيه دوافع استمرارية الحياة وأحياناً محفزات العمل على الحد من خلافات الزوجين.

إن الخلف الصالح يعد من وجهة نظر الإسلام من حسنات الأبوين المؤثرة في سعادة دنياهم وآخرتهم. ولهذا أكد الرسول ﷺ على التزاوج والتناسل كي يزداد عدد المسلمين فإنه يباهي الأقوام الأخرىٰ يوم القيامة بكثرتهم، ويتعهد الأزواج في الواقع بمسؤولية الحفاظ على العلاقات مع الجيل القادم عن طريق أبنائهم.

على أية حال، فإن الرغبة في الإنجاب ومواصلة التناسل هي من الدوافع والأهداف الفائقة الأهمية التي حفزت الإنسان على مر العصور المختلفة نحو الزواج وتأسيس الأسرة.

٤ـ النضوج والتكامل:

لا يحظىٰ أي من بني الإنسان بالكمال ولهذا يسعىٰ جاهداً وباستمرار للتعويض عن نقصه، وهذا ما يحث الفتيات والفتيان بعد مرحلة البلوغ والشباب ـ إلى جانب العمل على نيل الاستقلال الفكري ـ للتعويض عن

نقائصهم وتلبية احتياجاتهم التي لا حصر لها عن طريق الزواج وتوفير متطلبات نضوجهم وتكاملهم باختيار الزوج اللائق. فالإنسان عندما يستقر في كنف الحياة الزوجية المشتركة، يتثبت ـ في ظل مشاعر الاستئناس والألفة والمحبة والعلاقات الحميمة ـ شعوره بالمسؤولية فينال الاستقلال ويعمل على تحديد أهداف لحياته ومن ثم يجني ثمار مساعيه وعمله في الوحدة الأسرية اليافعة التي أسسها بنفسه.

يتمتع كل من المراة والرجل خلال الحياة الزوجية والأسرية المشتركة بالتشجيع، الدعم، الإرشاد والتوجيه من قبل الآخر وينعمان بتعاون وتعاضد الزوج عند مواجهة قضايا ومشاكل الحياة، ولهذا يعتبر الزوج المؤمن اللائق من أعظم النعم الالهية التي تدر بفوائدها على الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة.

٥ ـ السلامة والضمان الاجتماعي:

يعد الزواج وتأسيس الأسرة من أكثر مبادرات بني الإنسان قيمة وقدسية إذ لا يضاهيه في قيمته أي من المبادرات الاجتماعية الأخرىٰ، إن الأسرة هي وحدة اجتماعية تنشأ في أجوائها أكثر وأعمق وأهم العلاقات الإنسانية، ولهذا يعتبر الزواج وتأسيس الصرح الأسري نافعاً وضرورياً لتمتع المجتمع بالسلامة والاستقرار والسعادة ويهبط معدل الفساد، الانحطاط، الزلات والتسيب، الاعتداء الجنسي، القتل وسائر الجرائم الأخرىٰ بشكل ملحوظ عند إقبال الشباب على الزواج في الوقت المناسب وتمتعهم بحياة أسرية قوية البناء مما يسنح لهم فرصة

التمسك بالصرح الأسري الدافئ.

٦ ـ تلبية المتطلبات النفسية ـ الاجتماعية:

الزواج من الناحية الطبيعية ضرب من التكامل بالنسبة للإنسان الذي يرنو بحسب قانون الخلقة والفطرة الإنسانية الى الزواج بغية تلبية متطلباته النفسية ـ الاجتماعية المختلفة، وكذلك من أجل الحفاظ على النوع الإنساني، والتمتع بسكينة الجسم والروح وفض مشاكل الحياة المتنوعة.

ولنا على هذا الصعيد أن نشير إلى بعض الدوافع والأهداف الجلية والخفية والمتطلبات النفسية والشخصية الأخرى التي تلعب دوراً في أمر الزواج. ومن هذه العوامل: الرغبة في التظاهر والتفاخر، نيل الشهرة والمال عن طريق الاقتران بالثريات من النساء، الزواج بهدف إشباع الغريزة الجنسية لا غير، الاقتران بالزوج اللائق والمناسب من حيث الدخل المالي والاقتصادي، الحاجة إلى الإفصاح عن الاحتياجات و...، لابد من القول هنا أن الشريعة الإسلامية السمحاء تؤكد على تثمين ومدح الزيجات التي تقوم على قاعدة النوايا الإسلامية الأصيلة والأهداف الإلهية النقية.

وعدم تلبية هذه الاحتياجات والمتطلبات بشكل صحيح وكاف وفي حينه يأتي على علاقة الفرد مع الذات ومع مجتمعه بأضرار لا يمكن تعويضها. إن الزواج ينقذ المرء من الانطوائية، الاضطراب والشعور

بالتسلط على الأشياء والأشخاص ويؤدي إلى الحفاظ على صحته النفسية والجسمية ويجنبه شر الكثير من الأمراض الجسمية والنفسية والانحرافات الاجتماعية.

معايير الزواج وشروطه

يرىٰ علماء النفس والاخصائيون في الشؤون الأسرية (بورجس[1] وآخرون ١٩٧٩) أن تمكن المرأة والرجل من التنبؤ بنجاح حياتهما الزوجية أو فشلها يزداد بزيادة المعلومات الصحيحة والدقيقة التي يحوزها كل منهما عن الآخر. وتبين الأبحاث كما سلفت الإشارة أن الإنسان يرغب في انتقاء الزوج الصنو المشابه. ومن الملامح العامة لهذا التشابه: المعتقدات الدينية والمستوى الدراسي، الثقافي، الاقتصادي والاجتماعي. فمثل هؤلاء الأشخاص يعمدون دوماً لتعريف الحياة بشكل مماثل تقريباً وتتقارب أهدافهم وأحلامهم مع بعضها، ويلاحظ أحياناً تشابه بعض المتزوجين من ناحية الطول والوزن ولون البشرة والخصائص الجسمية أيضاً.

من المؤشرات المهمة لتآلف الزوجين، الوضع الثقافي الذي يضفي تشابهه لديهما طابع الإبداع والهادفية على علاقاتهما مع بعضهما إذ أثبتت الأبحاث أن استعداد الزوجين للتوافق والتكيف مع بعضهما يزداد بزيادة

---

1. Burgess.

القواسم الثقافية المشتركة بينهما وفي الوقت ذاته يقل احتمال نشوب الخلافات بينهما.

وأي زواج يولى الاهتمام فيه بمختلف جوانب الزواج هو زواج مزدوج، فرغم مساعي الجانبين لاختيار زوج ذي سمات ذاتية واكتسابية أكثر تشابهاً مع الذات فإن الزوجين سيختلفان مع ذلك من حيث جوانب جلية للغاية ولهذا يكون لزاماً على كليهما أن يتعلم أسلوب مسايرة هذه التباينات والتعايش معها وبهذا ستكون حياتهما سارة ومرضية.

فليس هنالك بتاتاً شخص تزوج من يماثله بشكل تام. يرى الدكتور (وينتش[1] ١٩٨٠) أن كلاً من المرأة والرجل يختار الزوج المتمم الذي يلبي احتياجاته، فعدد الأزواج المتمتعين بخصائص متقاطعة، ولكن متممة لبعضها في الوقت نفسه، لا يشير إلى ندرتهم، كالزوجين المتسمين بالتسلط والخضوع، أو الانبساطية والانطوائية، الاستقلال والتابعية و...، فباندماج هذه الخصائص يتولد اتحاد كامل وقوي.

وبعض السمات مثل تقبل المسؤولية لابد أن تكون مشتركة بين المرأة والرجل، وقد أثبت استطلاع أُجري بهدف مقارنة فريق من الأزواج المطلقين مع الأزواج الهانئين أن الهانئين والمتوافقين من الأزواج أفضل تقييماً لتقبل المسؤولية من الأزواج المطلقين بسبب عدم التوافق.

كما تبين الأبحاث أن هناء وشقاء الزوجين أمر يمكن استطلاعه

---

1. Winch.

بشكل صحيح ومتعمق منذ بداية الحياة الزوجية. وبعبارة أخرىٰ يمكن التغلب على الكثير من مشاكلها وعدم الاستسلام لها، وهذا ما يجعل توعية الشباب المقبلين على الزواج ضرورة لا لبس فيها، لأن مواجهة المشاكل والصعاب ونشوب الخلافات والصراعات في الحياة الزوجية يتدنىٰ باتساع مدى تعرف كل منهما على الذات وعلى الزوج المستقبلي وبانطباع معاييرهما لانتخاب الزوج بالعقلانية. ويؤكد في الوقت نفسه علماء النفس والأخصائيون في الشؤون الأسرية على ضرورة توفر شروط ومعايير وخصائص معينة في الزواج ليكون ناجحاً. ولنا أن نصنف هذه الأمور في مجموعتين:

أ ـ الخصائص الفردية الشخصية.

ب ـ معايير الزواج.

أ ـ الخصائص الشخصية الفردية

من أولى القضايا المطروحة في أمر الزواج هو الزمان والعمر المناسب ومستوىٰ نضوج الفرد. ويمكننا أن نخلص في هذا السياق إلى شروط أساسية ثلاثة، هي:

١ ـ البلوغ الجسمي والنضوج النفسي والاجتماعي.

٢ ـ حيازة الهدف والدوافع الكافية للزواج.

٣ ـ الإلمام الوافي بالتوقعات، الواجبات والحقوق في الحياة الزوجية.

ويمكن تدارس وضع هذه العوامل على النحو التالي:

النضوج الجسمي: يشير البلوغ أو النضوج الجسمي بلوائحه الواضحة، التي لا يصعب التنبه لها، في واقع الأمر إلىٰ تأهب الفتيات والفتيان فسيولوجياً للزواج. وجميع جوانب النضوج في الإنسان ـ باعتباره وحدة متجانسة ـ ترتبط ارتباطاً وثيقاً مع بعضها بفارق أن أثر النضوج الجسمي في النضوج والتوافق النفسي والاجتماعي يفوق أثرهما فيه ويعتبر أول مؤشر للقدرة على الإنجاب وهو من أهم الأهداف المتوخاة من الزواج.

النضوج الأخلاقي: تعتبر الأخلاق الحميدة من أعظم ثروات الإنسان وأهم الشروط المطلوبة عند الزواج. وقد أكد رسول الله ﷺ أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق. وعندما سئل ﷺ عن سمات الأشخاص الذين يمكن للمسلم أن يزوجهم فتياته، حدد تلك السمات بالأخلاق الحسنة والالتزام بالدين. ولهذا ينبغي على المرأة والرجل في الحياة الزوجية أن يتمسكا بالمبادئ الأخلاقية، مثل: الاحترام المتبادل، لطافة المعشر، الصفح، العفو والتغاضي حتى المقدور.

النضوج العقلي: من الأمور التي تحظىٰ بأهمية بالغة بعد البلوغ الجسمي والأخلاق الحميدة هو النضوج الفكري أي تمتع الفرد بالنضوج في نشاطاته الذهنية التي تنتج عنها الأفكار، النظريات، الرؤى العامة والقدرة على حل القضايا، وقد قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بأن العاقل هو من يأتي بفعاله في محلها وبأنه يميز طريق الضلال عن السعادة بالعقل. ومن المسلّم به أن الأشخاص وكما أنهم يتمايزون عن بعضهم من حيث النضوج الجسمي فإنهم يتباينون من ناحية النضوج العقلي أيضاً. وما يهم من أثر النضوج العقلي في الحياة الزوجية هو القدرة

على التفكير والتمييز بين الخطأ والصواب.

النضوج الاجتماعي: الزواج حياة مشتركة تأتي على المرأة والرجل بمجموعة من علاقات وتعاملات اجتماعية تستوجب تمتع الفتيات والفتيان بالنضوج الاجتماعي المناسب، أي أن يكونوا ضليعين بتكوين العلاقات الاجتماعية وباحترام الآخرين والقيام بالأدوار والواجبات الخاصة بهم وبتحمل المسؤوليات التي تفرضها عليهم الاتفاقات والعلاقات الاجتماعية بشكل مطلوب.

النضوج العاطفي: نعني بالنضوج العاطفي، القدرة على ضبط المشاعر السلبية والايجابية والتعبير عن النفور والغضب، المحبة والسرور في إطار الحدود المقبولة اجتماعياً، إذ ينبغي على المرأة والرجل أن يتمكنا من تبادل العواطف والمحبة والوئام مع بعضهما ومع جميع الأشخاص المتأثرين بنحو وبآخر بهذا الزواج.

ب ـ معايير الزواج

كلما اتسعت دائرة التماثل في الخصائص المتنوعة بين الفتاة والفتى تغدو الوحدة المتكونة منهما أكثر ثباتاً ورسوخاً في الحياة الزوجية. وتطلق المصادر الإسلامية على مجموعة هذه الخصائص «مبادئ التكافؤ والتماثل» وتتضمن: العمر والوضع النفسي، الثقافي، الاجتماعي، الاقتصادي والدراسي.

وتؤكد نتائج دراسات عديدة على ضرورة أخذ العوامل التالية من قبل الفتيات والفتيان بالحسبان باعتبارها معايير الزواج:

١ ـ الايمان: يعد الالتزام بالقيم الدينية، وفي مجتمعنا بـمبادئ الديـن الإسلامي المقدس، دون ريب من عوامل سعادة الحياة الزوجية، فالدين باعتباره رادعاً نفسياً، يصد الأفراد عن ارتكاب أعمال لا إنسانية، ثم أن الايمان والتقوىٰ إضافة إلى ذلك يزيدان من جدارة الإنسان للتعهد بتنشئة جيل صالح.

٢ ـ النبل العائلي: وهي من أهم معايير زواج الفتيات والفتيان، لا سيما في مجتمعنا الإسلامي، إذ يفي الاطلاع على الخصائص والوضع التربوي والثقافي لعائلة الزوج المستقبلي، دوراً أساسياً في تـبلور التـفاهم بـين الزوجين خلال الحياة الزوجية ويمكن اعتبارها مؤشراً لا يحظى لمدى القابلية على تربية الأبناء وإقامة العلاقات المتبادلة في الحياة الزوجـية. وتبين تحقيقاتنا (١٩٩٥) أن من أهم عوامل الطلاق في مجتمعنا الإيراني هو التباين الجلي على الصعيدين الثقافي والتربوي والخلقي بين عوائل الزوجين.

٣ ـ العمر: ينشأ عن تـقارب عـمر الزوجـين تـماثل الاحـتياجات، الرغبات والتوقعات إلى حد ما ولهذا يلعب تقارب الأعمار دوراً فـاعلاً في الحياة الزوجية التي تعتبر تلبية الغرائز الجنسية أحد أهدافها الهامة.

يحدد الخبراء الأسريون حدود الاختلاف، المسموح بـه، بـين عـمر الزوجين بما يناهز (٢ ـ ٦) أعوام، والعمر المناسب لزواج الفتيات هو منذ الثامنة عشر وحتى الثانية والعشرين من العمر ولزواج الفـتيان مـا بـين الرابعة والعشرين والثامنة والعشرين. لا يخفىٰ أن عامل العمر ومع أهميته القصوىٰ فإنه كأي من الضوابط الأخرىٰ لا يمكنه على انفراد أن يـمثل

عامل النجاح في الحياة الزوجية، إلى جانب ما اعترىٰ هذا العامل من تطورات نسبية في حياتنا الحالية بسبب التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها ظروف الحياة في المدن والقرىٰ على حد سواء.

٤ـ **المستوى الدراسي**: يمثل التشابه على الصعيد الدراسي أيضاً عاملاً مهماً في ايجاد التفاهم بين المرأة والرجل. إن المستوى الدراسي وإن كان في حالات كثيرة غير قادر على أن يضمن منفرداً تكوّن علاقات منطقية ومدروسة تكفل الصحة النفسية في الأسرة إلا أن تمتع الزوجين بمستوى دراسي متشابه يزيد علىٰ أية حال من تفاهم الزوجين بشأن تربية أبنائهما، كما أن لاكتساب العلم والمعرفة في حد ذاته امتيازاً وقيمة وله دور فاعل في النضوج والتسامي الفكري.

٥ـ **الوضع الاجتماعي ـ الاقتصادي**: إن تشابه عائلتي الفتاة والفتىٰ في مضمار الوضع الاجتماعي والاقتصادي هو أحد الدعائم الهامة التي يقوم عليها صرح التفاهم اللاحق بين المرأة والرجل، وإن كنا نشهد حالات استثنائية أيضاً في المجتمع كأن يقضي الزوجان حياة هانئة إلى جانب بعضهما رغم التباين الطبقي والاجتماعي والاقتصادي بين أسرتيهما، ولا ريب أن مثل هذه الحالات إنما تدل على تفوق أثر التنشئة والنبل العائلي والايمان والأخلاق علىٰ دور التشابه الطبقي الاجتماعي والاقتصادي بين العوائل.

٦ـ **الجانب الثقافي**: من الأمور التي ينبغي أخذها بنظر الاعتبار دوماً هو أن التباين في السمات الثقافية بين الزوجين هو أحد الأرضيات

الممهدة للطلاق.

إذ يتمخض عن تشابه القيم الفردية والاجتماعية، العادات والتقاليد، السلوك وحتى نمط الزي وتناوى الطعام، الأجواء المناسبة لزيادة التعاطف بين الزوجين، وهذا ما يضفي أهمية بالغة على تعرف كل من المرأة والرجل على الثقافة التي يتمتع بها الزوج المستقبلي وحقيقة قيمه الثقافية. لا سيما في البلاد المترامية الأطراف حيث تندمج ثقافات فرعية متنوعة مع بعضها لتشكل ثقافة موحدة يتبناها المجتمع العام. ويتسم الاهتمام بهذا الجانب من مجموعة معايير الزواج بحساسية خاصة لأن التباين في القيم السلوكية يهيئ، كما تقدم الذكر، الأرضية لنشوب الخلافات.

وهنالك دون ريب عوامل ومعايير أخرىٰ إضافة إلى المعايير الآنفة مثل توفير الظروف والإمكانيات الضرورية لتأمين المعيشة، وتلبية المتطلبات الاقتصادية للأسرة (من قبيل: العمل ودخل الرجل والحد الأدنىٰ للقدرة على توفير السكن ونفقات إقامة الحفل و...). ولهذا نقدم هنا وصايا لعوائل المقبلين على الزواج من الفتيات والفتيان لتقديم العون إليهم على صعيد توفير هذه المستلزمات مساهمة منهم في مضمار تشجيع الشباب لإطاعة هذا الأمر الإلهي، الثقافي والاجتماعي المقدس.

بيانات الأبحاث حول معايير الزواج في إيران

يحظى القيام بالأبحاث الخاصة بالزواج بأهمية فائقة في مجتمعنا الإسلامي تبعاً لأهمية وقداسة هذا الموضوع فيه، ولهذا تعد معطيات استطلاع آراء الشباب من طلبة الجامعات وهم الذخر الأساس لمجتمعنا

وبناة مستقبله مؤشراً حديثاً حول رؤاهم عن الزواج، يدلنا على القضايا والصعاب والطرق الأكثر فاعلية على هذا الصعيد.

ومن بين الأبحاث والاستطلاعات الجارية في هذا المضمار نشير هنا إلى معطيات تحقيقين أجريا في جامعة ايران للعلوم الطبية (الدكتور لطيفي والدكتور كاملي ـ ١٩٩٥) وجامعة إعداد المدرسين (أصغري ـ ١٩٩٥)، فحددت البيانات معدلاً مقترحاً للعمر المناسب لزواج الرجال في جامعة إيران بما يناهز (٢٤ ـ ٢٨) عاماً وفي جامعة إعداد المدرسين (٢٢ ـ ٢٤) عاماً ولزواج الفتيات (٢٠ ـ ٢٤) عاماً في كلا الجامعتين. أما المعايير المطلوب أخذها بالاعتبار عند اختيار الزوج المثالي فإن هذه التحقيقات حددتها على النحو التالي:

معايير اختيار الزوج المثالي

حسب آراء الطلاب		حسب آراء الطالبات	
جامعة إيران	جامعة إعداد المدرسين	جامعة إيران	جامعة إعداد المدرسين
١ ـ الإيمان	١ ـ الجمال	١ ـ تقبل المسؤولية	١ ـ المستوى الدراسي
٢ ـ الوفاء	٢ ـ الإدراك والتفهم	٢ ـ الايمان	٢ ـ الأخلاق
٣ ـ الجمال	٣ ـ المستوى الدراسي	٣ ـ الوفاء	٣ ـ المعتقدات الدينية
٤ ـ الإيثار والتفاني	٤ ـ الأخلاق الحميدة	٤ ـ الإيثار والتفاني	٤ ـ الجمال

وقد تم تحديد أولوية العوامل المؤثرة في الزواج وفقاً لمعطيات التحقيقين المذكورين حسب الجدول التالي:

العوامل المؤثرة في الزواج

حسب آراء الطلاب		حسب آراء الطالبات	
جامعة إيران	جامعة إعداد المدرسين	جامعة إيران	جامعة إعداد المدرسين
التفاهم الأخلاقي	التوافق الفكري	التمسك بالمعتقدات	الإيمان
التمسك بالمعتقدات	الأخلاق الحسنة	الانسجام الخلقي	الأخلاق الحميدة
النبل العائلي	الإيمان	النبل العائلي	العقلانية والتفهم
الجمال	الجمال	المستوى الدراسي	التوافق الفكري
المستوى الدراسي	المستوى الدراسي	الشخصية الاجتماعية المرغوبة	المستوى الدراسي
التوافق الفكري	القناعة	التوافق الفكري	الصحة الجسمية والنفسية

وصنفت بيانات هذين التحقيقين المشاكل والعراقيل التي تحول دون زواج الشباب حسب الجدول التالي:

مشاكل وعراقيل الزواج

حسب آراء الطلاب		حسب آراء الطالبات	
جامعة إيران	جامعة إعداد المدرسين	جامعة إيران	جامعة إعداد المدرسين
١ ـ العراقيل الاقتصادية	مشكلة السكن	سيادة المعايير الخاطئة في المجتمع حول اختيار الزوج	العراقيل الاقتصادية
٢ ـ عدم إمكانية التعرف على الزوج قبل الزواج	العراقيل الاقتصادية	عدم إمكانية التعرف على الزوج قبل الزواج	مشكلة السكن
٣ ـ القيم الخاطئة للعوائل	صعوبة اتخاذ القرار من قبل الزوج	القضايا الاقتصادية	عدم إمكانية التعرف بشكل صحيح على الزوج المستقبلي
٤ ـ سيادة المعايير الخاطئة في المجتمع حول اختيار الزوج	الحرمان من العمل والمهنة المناسبة	العراقيل الاقتصادية	صعوبة اتخاذ القرار الصحيح
٥ ـ القضايا الاعتقادية	تشدد عائلة الفتاة	القيم الخاطئة للعوائل	تشدد الأبوين

وبالنظر لما أدلاه هؤلاء الطلبة من آراء حول المشاكل والعراقيل التي تعترض درب الزواج، نقدم الاقتراحات التالية لعلها تمهد لمعالجة هذه القضايا:

١ ـ تأسيس المعاهد وعيادات المشاورة حول الزواج.

٢ ـ تقديم الإعانة المالية والاقتصادية والقروض الطويلة الأمد.

٣ ـ تدخل الحكومة على صعيد توفير المساكن بكلفة غير باهضة.

٤ ـ الحد من مستوى توقعات الجانبين وعائلتيهما.

٥ ـ خفض نفقات الزواج والمراسيم الخاصة به.

٦ ـ توعية الشباب المقبلين على الزواج.

٧ ـ التمهيد لاشتغال الشباب.

٨ ـ إشاعة ثقافة الزواج في المجتمع عن طريق وسائل الإعلام.

دور النضوج في الزواج

المقدمة: يشدد الخبراء وعلماء نفس النضوج في جميع المذاهب الفكرية على تأثّر السلوك بالتحولات الناشئة عن ازدياد العمر فيستند بعضهم في تحليله لهذه العملية على الأسس البايولوجية وفريق آخر على تطور الفاعليات الفردية ومجموعة ثالثة على نمط التعامل والأدوار الاجتماعية، ويذهب عدد منهم إلى التأكيد على العناصر الثقافية ـ الاجتماعية، فيتخذ كل منهم تحليله أساساً تقوم عليه أبحاثه ودراساته. ومع ذلك يتفق الجميع نوعاً ما حول عجز أي من هذه المبادئ على انفراد، عن تبيين عملية النضوج التي تتأثر بتفاعل جميع هذه الجوانب مع بعضها البعض.

أنواع النضوج

نوع النضوج	موضوع البحث
الفسيولوجي	الفاعلية الخليوية والفسيولوجية والتحولات الناشئة عنها
النفسي	الفاعلية الفردية والتعامل الاجتماعي
الاجتماعي	أنماط التعامل والأدوار الاجتماعية
الثقافي والشعبي	الأنماط الثقافية

الاتجاه الفسيولوجي: في هذا الاتجاه الفكري يتم التأكيد على دراسة:

ـ مستوى النماء على الصعيد الخليوي والفسيولوجي.

ـ نمط التحولات البيوكيميائية والفسيولوجية الطارئة في مختلف مراحل الحياة.

ـ النهج الوراثي في التعامل مع البيئة.

إن متابعة مراحل عملية النضوج لهو خير مؤشر يستهدىٰ به لمعرفة الوضع الفسيولوجي للفرد عند الزواج.

الاتجاه النفسي: تؤكد وجهة النظر النفسية على العوامل التالية:

ـ دراسة النضوج على صعيدي: الفاعلية الفردية والتعامل الاجتماعي.

ـ الإلمام بمسيرة التحولات الانفعالية والشخصانية، الإدراكية والسلوكية على مر الحياة.

ـ دراسة التحولات النفسية والبيئية.

ويعتبر العمر الزمني للمرأة والرجل مؤشراً ضعيفاً لتمتع كل منهما بالنضوج النفسي عند الزواج.

الاتجاه الاجتماعي: وهذه الرؤية تعتمد العوامل التالية:

ـ دراسة التحولات الناشئة عن تغير العمر في مضمار الأدوار الاجتماعية الخاصة بالمرأة والرجل في المجاميع الاجتماعية التي تتضمنها أية ثقافة أو مجتمع.

ـ التأكيد على الفاعليات الجماعية ومقارنتها بالفاعليات الفردية وتأثيرها في المجاميع الاجتماعية.

ـ تحديد نمط التصنيف النسبي أي مدىٰ تأثر السلوك والشخصية بالظروف والأدوار المتنوعة الناشئة عن تغير العمر.

والتأهل الاجتماعي أي اكتساب الأساليب التي يتخذها المرأة والرجل لتبني وتقبل رؤى وقيم ومعتقدات مجتمعهما يحظىٰ بأهمية فائقة في موضوع الزواج.

الاتجاه الثقافي والشعبي: ويعتمد هذا الرأي التأكيد على الأمور التالية:

ـ دراسة الاختلافات الفردية في أنماط النضوج في المجتمعات

والثقافات المختلفة.

ـ تحديد دور وأثر كل من هذه الخصائص في شخصية الفرد.

ويقوم المشاورون في شؤون الزواج بتحليل شخصية المرأة والرجل على أساس عناصرها الفردية والاجتماعية وكذلك خصائصهما الثقافية ويتأثر القرار المتخذ حول الزواج بالعوامل القيمية، الاعتقادية، الفردية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية ويتوجب على الفرد أن يلجأ إلى نوع من التسوية بين مجموعة الشروط المطلوبة عند اختيار الزوجة، ومنها معايير المجتمع (العمر، المستوى الدراسي، الأسرة، المعتقدات و...) والتوقعات الاقتصادية (المهنة، الدخل، المصادر المالية و...) والرغبة في الزواج. أي أن يصنف هؤلاء الأشخاص مجموعة العوامل المتنوعة المؤثرة في اختيار الزوج حسب أولويتها آخذين بالحسبان أنه ليس هنالك من يكون متكاملاً تماماً. وبالنظر لتأثر الحياة الزوجية والأسرية بعوامل عديدة فإن الحياة الأسرية للفرد لا تتعرض إلى خطر بسبب عامل وحيد (مثل الاختلاف في العمر والوضع الاقتصادي، الاجتماعي و...) بل يقتصر دور العامل السلبي ـ عند تفاعله مع سائر العوامل ـ على فاعليته في الحد من أثر الجوانب النوعية الايجابية، وقد ينتهي بانهيار وتلاشي الأواصر الزوجية.

العلاقة بين معايير اختيار الزوج والنجاح في الحياة الزوجية

الزواج ظاهرة اجتماعية تماماً إضافة إلى كونه استجابة للاحتياجات

والغرائز الفطرية للإنسان.. الأسرة وحدة عريقة التاريخ ومحكمة البناء، يتوقف عليها ثبات المجموعة والحياة الكمية والنوعية للأجيال المتتالية.. الزواج حاجة طبيعية للمرأة والرجل أقرها جميع المذاهب القويمة في المجتمعات البشرية، لا سيما المذاهب السماوية عامة والدين الإسلامي المبين على وجه الخصوص إذ يحثون أتباعهم على الزواج.

إن اختيار الزوج دون ريب أحد أهم القرارات التي نتخذها على مر حياتنا ويرتبط به في الواقع جميع ما يصدر عنا من انفعالات ومبادرات من قبيل: الانجاب، تنشئة الجيل القادم، الدخل، المسؤولية، تلبية الاحتياجات وتحديات حياتنا المستقبلية.

والزواج وإن كان محتفظاً بمكانته باعتباره وحدة عالمية محكمة البناء وسيحتفظ بها مستقبلاً إلا أن معدل الزواج لم يرتفع خلال العقود الأخيرة بل خلافاً لذلك ارتفع معدل الطلاق، لا سيما في المجتمعات الغربية ومنها المجتمع الاميركي (٥٠٪) من الزيجات يتبعها الطلاق. (بورنشتين[١] ١٩٩٠).

وبالنظر إلى الآثار والنتائج والتحولات المدهشة الأخيرة يبدو أن دراسة موضوع اختيار الزوجة، المعايير والمبادرة إليه لا سيما من قبل الشباب أمر يتمتع بفائق الأهمية.

---

1. Bornstein.

نجاح الحياة وتأثره بأهداف الزواج

إعترى التغيير أهداف الزواج والنظريات التي تبنتها المجتمعات حول اختيار الزوج على مر التاريخ حيث تمايزت عن بعضها نوعاً ما لتنسجم في كل من العصور المختلفة مع واقع الثقافة والقيم السائدة المتنوعة فقد تعرضت مبادئ اختيار الزوجة والأهداف المتوخاة من الزواج لتحولات متتالية حسب الظروف الخاصة التي خضعت لها المجتمعات، وهذا ما يبين أن اختيار الزوج لم يتم أبداً دون معيار أو ضابط.

والزواج في المجتمعات التقليدية يمثل طريقة لإقامة العلاقات بين الجنسين، فالسلوكيات الجنسية توفر بشكل شرعي ومقبول اجتماعياً، الأرضية للتناسل والحفاظ على النوع الإنساني.

ويسود في عصرنا الحالي الاعتقاد بأن المرأة والرجل كائنان يتمم أحدهما الآخر مما يمكنهما من تلبية الاحتياجات النفسية ـ الاجتماعية لبعضهما، إضافة إلى ذلك تبين الأبحاث المتباينة في هذا المضمار أن مجتمعاتنا العصرية تتبنىٰ أهدافاً هامة ثلاثة للزواج، هي: المحبة، المعاشرة وتحقيق التوقعات.

الحب: الحب سلسلة من المشاعر العاطفية الايجابية إزاء الجانب الآخر ويتضمن الاهتمام، العناية، العلاقات الحميمة، الانشداد والأواصر الحسنة.

المعاشرة: هي الرغبة الشديدة في التحادث والمجالسة المقرونة

بالتعاطف، وهذا ما تتطلبه الحياة الزوجية بشكل خاص فيتم خلال معاشرة الزوجين تبادل الخبرات، التعارف، التقبل والتفاهم الخفي.

تحقيق التوقعات: هي الرغبة في تلبية احتياجات النفس والجانب الآخر وتتضمن استمتاع كل منهما بالآخر والتمتع بالإمكانيات العامة في الحياة في كنف بعضهما خلال الحياة الزوجية بشكل عام. ويعم الاعتقاد حالياً بأن الحياة الزوجية تكون أكثر نجاحاً بزيادة انسياب توقعات الفتاة والفتى قبل الزواج وخلال الحياة الزوجية في سياق الطابع الواقعي العقلاني.

التكافؤ الزوجي قاعدة عالمية

يميل الإنسان بطبيعته لاختيار الزوج الأكثر تماثلاً مع الذات دون الزوج المتمايز غير الصنو، فتكافؤ الزوجين لا يؤدي إلى انشدادهما نحو بعض فقط بل يغرز بناء الصرح الزوجي والأواصر الزوجية بينهما. ومع اتفاق آراء أغلبية الباحثين حول ضرورة تماثل الخصائص الثقافية، الاجتماعية والدينية بين الزوجين إلا أن الأمر ليس كذا فيما يخص المواهب الفكرية.

وإزاء عقيدة التكافؤ الزوجي تم طرح نظرية الزواج غير المتكافئ التي تنص على أن الأشخاص يقبلون على الزواج ممن يلبي احتياجاتهم ويتمم حياتهم. ويحدد مؤيدو هذه النظرية الدافع لمثل هذا الزواج بأنه الرغبة في عدم التكافؤ وعدم التماثل ولا سيما الاندفاع وراء الصفات

المتممة.

وقد توصل كركهوف ودافيسون[1] في أبحاثهما إلى الفرضيات التالية:

١ ـ هنالك ترابط إيجابي بين تماثل القيم واستقرار الحياة الزوجية.

٢ ـ لتلبية احتياجات المرأة والرجل عن طريق الزواج علاقة ايجابية مع ثبات الزواج.

غير أن الأبحاث الجارية خلال العقد الأخير تفيد بأن أغلبية العلاقات الزوجية منعقدة على أساس التكافؤ الزوجي لا عدم التكافؤ الزوجي.

هنالك عوامل مختلفة تحفز الأفراد لاختيار الزوج الكفوء، من أهمها عامل التراث الذي يحتسب القاعدة الأساس التي تحصن الزيجات التكافؤية ـ الى حد ما ـ وتحفظ قوامها.

ويحدد بورجس ووالين إثر دراساتهما حول اختيار الزوج عوامل خمسة على أنها العوامل المقررة على هذا الصعيد، وهي:

١ ـ الجوار (البيئي).

٢ ـ التجسيم الذهني عن الزوج المثالي.

٣ ـ التجسيم الواضح عن الأبوين ونمط الحياة الزوجية.

٤ ـ الرغبة في اختيار الزوج الكفء.

---

1. Curkhuff and Davison.

٥ ـ معرفة الاحتياجات الشخصية.

وقد أثبتت الأبحاث الدور المصيري للعوامل التالية على صعيد الخصائص الاجتماعية:

مدى التزام المرأة والرجل بالعقيدة ونمط الخصائص الدينية، التاريخ الأسري، نمط السلوك وأسلوب الحياة خلال مرحلة الشباب، النظرة إلى الزواج، مدى المساهمات والنشاطات في الحياة الاجتماعية ونمط التعامل مع الأسرة.

العوامل المؤثرة في اختيار الزوج

تلعب عوامل متنوعة دوراً في عملية اختيار الزوج. نشير هاهنا إلى بعض من أهمها:

العامل الجغرافي: من العوامل المؤثرة في اختيار الزوج السكنى في منطقة خاصة والتعلق بتلك المنطقة. وهذا ما يحث الأشخاص أحياناً لاختيار الزوج من ذات المنطقة. ويوفر هذا العامل على صعيد التمهيد لاختيار الزوج إمكانية التحقيق، اللقاء ودراسة جوانب التماثل عن طريق المشاهدة أو الطرق الأخرىٰ. ويتضاءل بشكل مطرد دور وهيمنة العامل الجغرافي على إرادة الإنسان في حياتنا العصرية، رغم كونه من العوامل الهامة والمؤثرة، بسبب تطور وسائل الارتباط وكذلك انتشار حالة الهجرة والجلاء بين الناس.

العمر: تؤكد الأبحاث على ضرورة وجود اختلاف يتراوح بين السنتين والست سنوات بين عمر الفتاة والفتىٰ، فحددت، كما تقدم، العمر المناسب لزواج الفتيات بـ (٢٢ ـ ٢٤) عاماً والفتيان بـ (٢٦ ـ ٢٨) عاماً. رغم أهمية عامل العمر في اختيار الزوج ولكن هذا لا يعني أبداً تعرض الحالات الزوجية ذات الاختلاف السني الفاحش إلى الانهيار الحتمي إذ قد يتغلب أثر الرغبات المماثلة، الطموحات المشتركة، الخصائص المتممة، الاحتياجات المتبادلة، التشابه على الصعيد الدراسي؛ الاعتقادي؛ القيمي و... على المتحولات الأخرىٰ (مثل العمر) مما يمنح الحياة الزوجية الثبات والديمومة.

التشابه الثقافي: يبدو أن المؤهلات العلمية من الأمور التي يعم في كل مكان اعتبارها أحد معايير اختيار الزوج، فتشابه المؤهلات العلمية للزوجين يدل على التشابه الطبقي بينهما (في المجتمعات المغلقة) فالمستوى الدراسي إنما يشير عادة إلى نوع الثقافة، التفكير، والنظرة التكوينية التي يتبناها الفرد للعالم. والتشابه الدراسي من شأنه عادة أن يفيد معنى التشابه في الرؤى أيضاً.

المواهب الذهنية: إن استثنينا عدداً من الباحثين الذين يهملون دور وأهمية الذكاء وتشابه المواهب الذهنية في الحياة الزوجية، يؤكد الباحثون على ضرورة وجود تشابه ولو نسبي في مستوى الذكاء بغية استجلاب الرضا والنجاح في الحياة الزوجية. ففي المجتمعات التي تتكافأ فيها الفرص التعليمية والدراسية المسنوحة لجميع أبنائها يعتبر

تشابه المؤهل الدراسي مؤشراً على تقارب وتماثل مستوى الذكاء وحتى المواهب الذهنية، إذ ينجم عن التفاوت الفاحش في حاصل الذكاء لدى الزوجين لصالح الزوج أزمات خطيرة تهدد الكيان الأسري.

المعتقدات الدينية: الدين هو أهم مظاهر الفكر البشري المستسقاة من الينابيع المعنوية والالهية. يرى الباحث في الشؤون الأسرية والزوجية الدكتور كينزي[١] أن للدين في الهيكلية الاجتماعية للزواج، دوراً فاعلاً في تحديد الأنماط السلوكية للزوجين لايضاهيه دور أي من العوامل الأخرىٰ.

وخلافاً لفكرة القائلين بعدم تأثر سلوك بني الإنسان بالدين في المجتمعات الصناعية فإن التحقيقات تبين أن أثر قيم ومعتقدات الأفراد في تحديد سلوكهم يفوق أثر أي من العوامل الأخرىٰ.

فالهوة بين الأفكار الدينية والقيم التي يتمسك بها الزوجان تزداد سعة بمرور الزمن وينجم عن ذلك نشوب المناقشات الدائمية. يرىٰ بوجال[٢] أن الدين يؤثر في سلوك الشباب قبل إقبالهم على الزواج ولكن انعدام المعتقدات والقيم الدينية لدى أحد الزوجين يسبب لهما صعاباً كثيرة خلال الحياة الزوجية.

ويعود التأثير العجيب الذي تتركه قيم ومعتقدات الفرد في سياق

---

1. Kinsey.

2. Bogal.

اختياره للزوج إلى كونها تتحدد بحسب نوع العقيدة والرؤية الكونية للعالم اذ لا تؤثر المعتقدات الدينية على حيز علاقة الإنسان بالله ونطاق نشاطاته الدينية فحسب بل تؤثر كذلك في علاقة الفرد بالذات وبغيره من بني الإنسان في المجتمع (لاسيما مع أناس ذوي أهمية وصلة قريبة وذات معنىٰ بالنسبة للفرد كالزوجة، الأبناء، الأبوين وغيرهم).

الطباع: بينا حتى الآن رغبة الإنسان في اختيار الزوج الكفوء على مختلف الأصعدة سوى الأخلاق والطباع إذ يشدد أصحاب الرأي في هذا المضمار على عدم تكافؤ الزوجين.

يذهب وينتش وهو أكبر أنصار النظريات التي تؤيد فكرة الزواج المتمم، إلى أن عدم التكافؤ من حيث خصائص الشخصية يعقد الأواصر بين الزوجين من جهة ويستجلب الرضا من الحياة الزوجية من جهة أخرىٰ، فقد توصل خلال تحقيق أجراه في جامعة نورث وسترن، طال المتزوجين مع بعض من الطلبة والطالبات إلى أن كلاً منهما استهدف تلبية بعض احتياجاته الشخصية ولهذا عمد إلى اختيار زوج بمقدوره أن يلبي احتياجات زوجه نظراً لتمتعه بسمات فردية خاصة، من قبيل الزوج الراغب في التسلط والزوجة الراغبة في الخضوع. ولكن فظاظة الزوج تؤدي تدريجياً الى تطبع الزوجة بالهياج والانفعال السريع. ومع أن كليهما يرنوان لتلبية حاجتهما إلى الاستقلال، الاحترام والتسلط إلا أن الأمر يؤدي خلال عملية تلبية هذه الاحتياجات إلى استجلاب رضا أحد الزوجين وانعدام الشعور بالرضا والسرور لدى الآخر.

يرىٰ أصحاب الرأي أنه لابد من اتخاذ الحيطة عند اعتماد نظرية وينتش رغم توفر عوامل الاستقطاب فيها. ومن المسلم به أن التوصل إلى نتائج معتمدة في هذا المجال يتطلب إجراء المزيد من الأبحاث وحيازة بيانات أكثر توثيقاً.

دور الأبوين في زواج الشباب

يطمح أكثرية الآباء والأمهات إلى نجاح أبنائهم في أمر الزواج وتأسيس الأسرة. ودور الأبوين في المجتمع الإسلامي يفوق دورهما في المجتمعات الصناعية إذ أن العوائل المسلمة ما زالت تعتبر اختيار الزوج لأبنائها من واجباتها ووظائفها ازاءهم.

لقد تمايزت عمليتا العثور على الزوج واتخاذ القرار النهائي تدريجياً عن بعضهما في المجتمع الإيراني مثلاً حتى تعاظمت أهمية دور الأبوين شيئاً فشيئاً في مرحلة اتخاذ القرار النهائي من قبل الشباب والذي يستلزم التقييم والحكم. ولنا أن نقول أن التزاوج ما زال يحدث بين الأسرتين. ويتمتع دور العوائل بفاعلية خاصة عند لقائهما بهدف اختيار الزوج خلافاً للمجتمعات الصناعية التي يقبل فيها أغلبية الشباب على الزواج منفردين وبعيداً عن إشراف الأبوين فتتحدد معاييرهم خلال هذه المبادرة بأمور حديثة مثل المؤهلات الدراسية والقابليات الفردية الشخصية فيقيمون الوضع وفقاً لهذه المعايير لا غير. بينما يسع الأبوين بإشرافهما وتدخلهما في الوقت المناسب أن يرصدا سلوكيات الشباب من بناتهما أو بنيهما

المقبلين على الزواج فيمدانهم خلال عملية التعارف المعقدة بالعون، باعتبارهما مصدراً موثوقاً به.

لقد أوصانا رسول الله ﷺ بأن لا نرفض متقدماً للزواج أقبل علينا فيما لو ارتضينا دينه وخلقه. ويقول اسمايلز[1] أحد الخبراء في الشؤون الأسرية: بعد مضي عام على الزواج لا يفكر الزوجان سوى بأخلاق بعضهما وسلوكهما وهذا ما يوفر الأرضية لأغلبية مشاكل الحياة الأسرية.

هنالك نهجان منطقيان يمكن اتباعهما عند تعيين الزوج:

١ ـ اقتراح الأبوين واختيار الشاب.

٢ ـ اختيار الشاب واستشارة الأبوين.

على أية حال من شأن الشاب أن يستمد العون من أبويه عند اتخاذ أحد أهم قراراته في الحياة بتبادل الأفكار والتشاور معهما لعله يتوصل إلى انتقاء عقلاني ويتعمق شعوره بالسكينة والطمأنينة وهو يقبل على مثل هذا الأمر الهام في الحياة.

العوامل الفاعلة في نجاح الحياة الزوجية

لماذا ينجح بعض الأزواج في حياتهم الزوجية بينما يفشل آخرون؟

ما هو يا ترى وجه التمايز بين الأشخاص الذين يشعرون بالراحة

1. Smiles.

والهناء في حياتهم الزوجية المستمرة على مدى سنين طوال والأشخاص الذين يواجهون صراعاً دائماً في حياتهم رغم أن أغلبية الأزواج يقبلون على الزواج وقلوبهم زاخرة بتمنيات وآمال ذهبية يرنون لتحقيقها في حياتهم الزوجية؟ ما هي الأسباب التي تؤول ببعضهم ليتحدد أمد تنعمه بالسرور ببضع سنوات فقط بينما يحتفل بعضهم سنوياً وبشغف لا يوصف بذكرى زواجهم؟.. إنها استفسارات طالما شغلت بال الأخصائيين وخبراء النفس الأسريين في العقود الأخيرة.

توصل الطبيب النفساني الانجليزي الدكتور اسبورغيون[1] (١٩٨٠) ـ الذي قضى الأمد الأعظم من حياته في التشاور حول الزواج ـ من خلال خبراته ونشاطاته العيادية إلى أن السعداء من الأزواج هم الذين يتماثلون مع أزواجهم من حيث مدى تلبية الاحتياجات الأساسية الأربعة التالية:

١ ـ تلبية الاحتياجات الجنسية.

٢ ـ إقامة العلاقات والتعامل فيما بينهما على أساس التفاهم، وثناء كل منهما في ظروف متنوعة على الآخر والإعراب عن تثمينه له.

٣ ـ عملهما على توفير الأرضية المناسبة لحث بعضهما نحو التنامي والازدهار.

٤ ـ إلى جانب تبادل مشاعر الحب والمودة فإنهما يحبان حياتهما الزوجية فيعملان ملياً للحفاظ على الكيان الأسري.

---

1. Spurgeon.

يرىٰ هذا الطبيب النفسي أن الزواج لو افتقد أحد هـذه العـوامـل أو بعضها فإن مؤشرات انعدام الرضا مـن الحـياة الزوجـية تـظهر بـصورة: التشكي، الاستشكال الدائم، التذمر، الانفصام العاطفي، الحسـد، إسـهام الأبناء في عمليات التسوية بينهما، الشكوى الجسمية والنفسية والتهديد بالانفصال. وتستتبع في حـالات أكـثر تأزمـاً حـرمان الزوجـين مـن احتياجاتهما الأساسية، المشاجرة والمشاحنات، الكآبة، الاضـطرابـات النفسية الشديدة، خيانة الزوج، الإدمان، ظـهور الاخـتلال فـي المـهنة والعمل وأخيراً الطلاق.

نظراً لأهـمية تـلبية الاحـتياجات الأسـاسية فـي الحـياة الزوجـية نستعرض هنا كلاً منها بإيجاز:

ـ ديمومة العلاقة الجنسية الشرعية، وهي من السمات الخاصة للزواج وإن تباينت الحاجة الجنسية، كغيرها من الخصائص، لدى الرجل والمرأة. ولابـد أن نـضيف أن تـلبية هـذه الحـاجة إنـما يـغلب عـليها الدافـع الفسيولوجي في الرجل والعاطفي في النساء..

ـ في الحياة الزوجية الطيبة يبادر كل من الرجل والمرأة للتعبير بحرية عن مشاعره ويندفع للإطراء على الآخر ويخامره في الوقت ذاته الشعور بالحاجة إلى تلقي العناية والتشجيع من الآخر. إذاً يحظىٰ كل من الزوجين في الزيجات الطيبة بالإطراء والثناء لما يقوم به وما هو عليه أيضاً.

ـ الزواج الناجح هو ذاك الزواج الذي يتنامىٰ في أجوائـه كـل مـن الزوجين، فالرجل بحاجة إلى التسـامي، خـارج نـطاق عـمله ومـهنته،

باعتباره إنساناً والمرأة كذلك بحاجة إلى تنمية مواهبها وقابلياتها كأي شخص ذي قيمة. وعلى هذا ينبغي على كل من الزوجين إعداد الأرضيات اللازمة لتنامي وازدهار القابليات الكامنة في الآخر. إن الرجل والمرأة اللذين يوليان الاهتمام بميول ورغبات بعضهما إنما يرسخان بذلك أساس علاقة عاطفية متسامية إلى جانب تكامل الذات.

ـ الزواج علاقة محبوبة بحد ذاتها. إن تمتع كل من الزوجين بالسعادة والهناء أمر ينجم عن الشغف بالحياة الزوجية عند التجاوب مع الحقيقة، الشرف، الوضوح، الجمال، الإيثار والتفاني والتسامح في الحياة الزوجية، وهي في الغالب من العوامل الفاعلة في الحفاظ على الكيان الأسري.

خصائص الزواج الناجح:

تمثل الأسرة في الحياة الزوجية الناجحة، الصرح العاطفي ومصدر تلبية الكثير من احتياجات الزوجين. وهنا نشير إلى بعض من فاعليات الأسرة المتبلورة إثر زواج ناجح:

١ ـ الأسرة أفضل مأوى وملجأ عاطفي واجتماعي لكل من المرأة والرجل.

٢ ـ الأسرة مركز لتبادل العواطف والمودة بين أعضاء هذه المنظومة.

٣ ـ هي محل تقييم الصعاب والنقائص والمبادرة للتغلب عليها.

٤ ـ الأسرة بيئة آمنة قائمة على أساس الزواج الدائم والآمال المتوقعة

من الأجيال القادمة.

٥ ـ هي ينبوع المحبة والصداقة والدعم النفسي، الاقتصادي والثقافي.

٦ ـ هي أول مجموعة صغيرة ينعم فيها الإنسان بتلبية جميع احتياجاته ودوافعه.

٧ ـ هي مركز تجسيد الأنماط والأدوار الجنسية النسوية والرجالية إذ يتعرف الأطفال أساساً على أغلب واجباتهم المستقبلية عن طريق الأسرة.

٨ ـ بتشكيل الأسرة يتخلص الفرد من الضغوط النفسية التي يعاني منها.

٩ ـ الأسرة تصقل حالة فقدان الثقة وانعدام الدوافع، الروتين والترهل والإرهاق الناجمين عنه.

عراقيل التوافق الزوجي

تتأثر الحياة الزوجية بعوامل ومتحولات متنوعة منها ما يسهل أمر التوافق ونيل الرضا من الزواج وبعضها الآخر يعرض الحياة الزوجية للمتاهات والمشاكل.

وتتنوع العوامل المخلة في أمر التوافق الزوجي بحسب خصائص الأفراد تنوعاً واسع النطاق. نجمل لاحقاً الحالات التي تبين لنا من خلال معطيات تحقيقاتنا وخبرتنا الطويلة الأمد في حقل المشاورة الأسرية

دورها في عرقلة التوافق الزوجي:

١ ـ الزواج الذي يتم بعد فترة قصيرة من فقدان المرأة أو الرجل لشخص ذي أهمية ومعنى في حياته.

٢ ـ زواج المرأة أو الرجل بدافع التخلص أو الابتعاد عن الأسرة الأصلية.

٣ ـ الاختلافات المتنوعة وذات المعنى في مختلف النواحي والتاريخ الأسري للزوجين.

٤ ـ المرأة والرجل اللذان لم ينعما بوجود أخت أو أخ أو أسرة حميمة في الحياة.

٥ ـ الزوجان المتعلقان فيزيائياً، مالياً أو عاطفياً إلى حد بعيد بأسرتيهما.

٦ ـ الزوجان المرتبطان بعائلتي بعضهما أو بإحداهما بعلاقات حميمة مغالىٰ فيها أو علاقات فاترة ومبنية على أساس رؤية عدائية.

٧ ـ المرأة والرجل اللذان يقدمان على الزواج قبل بلوغ العشرين أو بعد الثلاثين من العمر.

٨ ـ المرأة والرجل اللذان يقدمان على الزواج بعد فترة تعارف قصيرة لم تتجاوز الستة أشهر أو بعد فترة خطوبة طويلة دامت أكثر من ثلاث سنوات.

٩ ـ عندما تقام مراسيم أو حفلة الزواج دون حضور الأسرتين أو أصدقاء الجانبين.

١٠ ـ حمل الزوجة خلال مرحلة الخطوبة أو في بداية السنة الأولى من الزواج.

١١ ـ إساءة أحد الزوجين الظن في أبويه أو إخوته وأخواته أو سوء العلاقة بينهما.

١٢ ـ معاناة أحد الزوجين خلال مرحلة الطفولة أو المراهقة من ظروف نفسية غير سارة ومؤلمة.

١٣ ـ عند تطبع نمط الزواج المتبع في الحياة الأسرية لأحد الزوجين أو لكليهما بانعدام الاستقرار وفقدان الأمان.

الفصل الثاني

الأسرة

مكانة الأسرة والنظريات الخاصة بها

تعريف الأسرة: هي مجموعة صغيرة تتكون من أشخاص تربطهم أواصر زوجية أو لحمية مباشرة فيعيشون مع بعضهم ضمن وحدة خاصة، ويتمتعون بخبرات وثقافة مشتركة وتتشابه ميولهم وأهدافهم وتشد المودة والمحبة بعضهم إلى بعض. تتألف الأسرة التقليدية من الأب والأم والأبناء. ويكون أقارب الزوجة والزوج على اتصال بهم في الظروف الخاصة وعند الحاجة إلى المعونة المتبادلة فيتصلون بهم وعواطفهم مفعمة بمشاعر السرور والشغف والاحترام أو الحزن والقلق.

أهمية الأسرة: تتمتع الأسرة من بين جميع الوحدات، الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية بأهم وأثمن وأكثر الأدوار فاعلية.. الأسرة هي أكثر مصادر التناسل توافقاً مع الطبيعة والشريعة والعرف، وأكثر الوحدات

الاجتماعية شمولية لأنها تتضمن جميع أبناء المجتمع. وللأسرة أهمية تربوية واجتماعية في كيان المجتمع. يقدم الأشخاص الى الدنيا بمبادرة أسرية، والمجتمع كذلك تتكون هيكليته من مجموع الأشخاص، وبما أن الأسرة هي الوحدة المنتجة للطاقة الإنسانية ومصدر شحن سائر الوحدات الاجتماعية فإنها من الدعائم الرئيسة والوحدات الأساسية في بناء المجتمع.

إن سواء وعدم سواء المجتمع أمر تحدده الظروف الأسرية العامة فيه إذ لا تظهر أي من المضرات الاجتماعية بمعزل عن تأثير الأسرة وعلى هذا لا يكون بوسع أي مجتمع أن يدعي السلامة ما لم تتمتع العوائل فيه بالسلامة. والأسرة من جهة أخرىٰ هي نتاج أو انعكاس للمجتمع العام. ويتمثل الدور الأساس والجلي للأسرة بانتقال القيم والتراث الثقافي والعقائدي جيلاً عن جيل، صيانة أواصر القرابة، تربية وتنشئة الجيل، تلبية الاحتياجات الإنسانية الأساسية وايجاد التوازن النفسي والعاطفي بين أعضائها.

الزواج مظهر وميثاق اجتماعي خاص وهو عامل تبلور الأسرة التي تتكون بحسب هيكلية المجتمع. وتتضمن حياتها الأفراح والأتراح والقيم السوية والشاذة. وتنعكس عنها بشكل عام جميع خصائص المجتمع. بناء على هذا الاتجاه الفكري يبدو أن تدارس أنواع الزيجات في العالم أمر لا يتضمن دراسة الأساليب المختلفة لانتقاء الزوج فحسب بل يتطلب التمحيص في الرؤية الكونية لبني الإنسان في أي برهة من التاريخ ولا

سيما نظرتهم إلى المرأة ورأيهم في أصالة الإنسان قبال أصـالة أهـداف المجتمع. والزواج أمر يحظىٰ بالأهمية من حيث الرؤية الفردية الشخصية، الحيوية والاجتماعية. وأي من الوحدات الاجتماعية الأخرىٰ لا تضاهيها من حيث طابعها العالمي، العريق تاريخياً والثابت والراسخ بناء، ولهذا لا يتأثر أي منها بالتحولات الاجتماعية مثلما تتأثر بها الأسرة.

مكانة الأسرة في الإسلام

يعتبر الإسلام الأسرة بناءً مقدساً ومـحكم البـناء ووحـدة أسـاسية واجتماعية أيضاً. ويعود ثبات بنيان الأسرة الى الزواج بـاعتباره عـهداً وميثاقاً يستند على الحقوق والقوانين ويستمد القوة من المودة والرحمة. ووجود الأسرة لا يحتسب حاجة طبيعية فقط بـل ضـرورة اجـتماعية أيضاً. ويتم التأكيد على أبناء المـجتمع لتشـييد هـذا الصـرح المـقدس والحفاظ عليه وعلى بقائه، وأخيراً يعتبر الإسلام الأُسرة مـدعاة تـقوىٰ المرأة والرجل وكمال دينهما.

ويشدد الإسلام، بغية تحقيق أهداف الزواج وإحكام بناء صرح الأسرة على أمرين هامين هما: الدين والأخلاق، ولهذا يوصي أتباعه المـقبلين على الزواج بأخذ دين وأخـلاق الزوج المـنظور (حـتى قـبل أي مـن الخصائص الأخرىٰ) بنظر الاعتبار.

وتمثل رعاية القيم الأخلاقية كذلك أفضل السبل لتحسين العلاقة بين المرأة والرجل وللحفاظ على بقاء وقوة الصرح الأسري والحيلولة دون

اندلاع الخلافات العائلية ووقوع الطلاق. وقد انكب أولياء الدين على تقديم الوصايا في هذا الصدد.

وتأسيس الأسرة من وجهة نظر الإسلام هو عهد وميثاق مقدس بين المرأة والرجل يقوم على اعتبار أن كليهما إنسان، ويستهدف أساساً تلبية الاحتياجات الإنسانية وتوفير السكينة والهدوء واستئناس المرأة والرجل ببعضهما. إذ أنه يعتبر نيل اللذائذ الجنسية المشروعة، تلبية الغرائز، الإنجاب وتنشئة الأبناء أيضاً من الأساليب الممهدة لتحقيق الأهداف الإنسانية السامية.

والآية: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**[1] تذكر الاستئناس والسكينة الأسرية والفردية على أنها ثمرة الزواج وهو أمر يفوق تلبية الاحتياجات الجنسية. وفي الرباط الزوجي المقدس يميل المرأة والرجل إلى بعضهما بملء وجودهما، وهذا ما يؤدي إلى انسجامهما وتعاطفهما وانكبابهما في مختلف جوانب الحياة على إسداء الخدمة لبعضهما. ثم أنهما يستأنسان ببعض ويتبادلان الأفكار ويكتمان أسرار بعضهما، ويرنوان لتحقيق أهداف مشتركة، فبناء الحياة الزوجية يغدو محكماً بحسب الآية السابقة عند قيامه على أساس دعامتي المودة والرحمة الراسختين.

---

١ ـ سورة الروم، الآية ٢١.

والمودة: هي تمايل الزوجة والزوج نحو بعضهما، اهتمام كل منهما بالجوانب الإيجابية في الآخر وشعورهما بالحب والوئام إزاء بعضهما من صميم القلب حتى يعتبر كل منهما الآخر نعمة ثمينة أغدقه الله بها ووسيلة استئناس ومبعث تفاؤل وأمل وشريك حياته فيقبل على تثمين هذه النعمة والشكر عليها.

والرحمة: هي الحنان والشفقة، فعندما يلاحظ أي من الزوجين نقصاً أو ضعفاً أو حاجة في زوجه تخامره مشاعر الرأفة والشفقة عليه، ويرىٰ أنه إنسان والإنسان لا يسلم من النقص كما هو حال ذاته فيحنّ عليه ويحاول التغلب على هذا النقص باللطافة والمجاراة وبدافع الحنان والشفقة وإن عجز عن ذلك يقبله على ما هو عليه فيتغاضىٰ عن نقائصه ويواصل الحياة معه. ومن مستلزمات وضرورات الحنان والشفقة أنه لابد للفرد أن يأخذ في جميع الأوضاع مطالب ورغبات زوجه بالحسبان مثلما يطالب بالخير والصلاح لنفسه، ويطلب لزوجه ما يطلب لنفسه وهو كذلك في تفكير متواصل في كيفية توفير السعادة والراحة والسكينة له.

ونقرأ في الآية القرآنية ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن...﴾[1] تعبيراً واسع المعاني حول التأثير المتبادل ومشاعر الحنان والشفقة المتبادلة بين الزوجة والزوج، إذ تصف العلاقة بين الزوجة والزوج في العبارة ﴿هن لباس لكم﴾ فكما يستر اللباس والهندام بشكل عام جسم الإنسان بجميع

---

١ ـ سورة البقرة، الآية ١٨٧.

خصائصه الكمالية ونقائصه، سماته الحسنة والسيئة، وحسناته وقبائحه ثم أنه يقيه شر البرد والحر ويحفظه من الأخطار فيزيد من حسن الفرد ويتستر على عيوبه. كما أنه أقرب شيء بالنسبة للإنسان وهو من احتياجاته الهامة والأولية، لابد للمرأة والرجل أن يمتثلا باللباس فيتقبل كل منهما الآخر بنقائصه وكمالاته وأن يحرسه ويمنحه السكينة والطمأنينة فيزيد من محاسنه ويستر عيوبه ويحفظ أسراره ولا يبثها أحداً قط.

هذه هي نظرة الإسلام حول العلاقة الزوجية والحياة الأُسرية ومكانة الأسرة، والإنسان جدير بتشييد الصرح الأسري على مثل هذه الدعائم الحسنة، الثابتة والقوية التي توفر له السعادة والصحة الجسمية والنفسية وكذلك سعادة الدنيا والآخرة، فتأسيس الأسرة على أساس دعائم الإيمان والمحبة والشفقة يضفي على الأسرة الدفء والصفاء ويحول دون اندلاع الصراعات والخلافات وبالتالي الطلاق والانهيار. وبهذا يغدو من واجب الإصلاحيين والسعاة للخير من أبناء المجتمعات أن يعملوا على إشاعة وتعميم فكرة تأسيس مثل هذه الأُسر والعوائل للوقوف بذلك بوجه زعزعة هذا البنيان الاجتماعي الأصيل وانهياره.

لا يخفىٰ أن الدعم القانوني لا يسعه تحقيق الهدف من تأسيس الأسرة على دعائم الإيمان والمحبة والشفقة وهذا ما يؤيده التاريخ وخبرة بني الإنسان أيضاً، فأفضل طريقة لنيل مثل هذا الهدف هو التوعية ودعوة الناس أجمعين لرعاية القيم الدينية والخلقية. فالإسلام مدرسة لبناء

الإنسان وهو قد أقر هذا الأسلوب وأكد تأكيداً دؤوباً على رعاية المبادئ الخلقية على مختلف الأصعدة، ومنها في العلاقات الأسرية.

وأخيراً نذكر في نهاية البحث أن الرسول الكريم ﷺ قد أكد أن أتم الناس إيماناً هو أحسنهم خلقاً وأن افضل المسلمين هو أحسنهم سلوكاً مع أزواجهم[1].

الأسرة من وجهة نظر الأديان والمذاهب الأخلاقية

يدل المنحى العام للقوانين وضوابط الأديان السماوية والمذاهب الأخلاقية على اهتمامها بالصرح الأسري باعتباره اللبنة الأساس في بناء المجتمعات البشرية، وهذه النظرة تلعب دوراً في تسامي وتكامل أبناء المجتمع فرداً فرداً ويمنح الناس جميعاً السلامة الخلقية والسعادة العامة. وقد نبذت كافة الأديان والمذاهب الالهية الزيجات والأسر الخارجة عن نطاق «عقود الزواج القانونية» بسبب علاقتها العكسية مع الطبيعة والفطرة الإنسانية.

وتنص بعض الأخبار المروية عن رواد الدين أنهم يعتبرون الزواج أحد أركان الدين بل المحافظ على نصف الدين.

والإسلام نبذ الرهبانية وهي إحدى عادات الدين المسيحي بسبب أهمية الطابع الاجتماعي في الإنسان والأضرار المترتبة على كبت

---

١ ـ راجع بحار الأنوار، المجلسي، المجلد ٧١، ص ٣٨٩.

الاحتياجات الجنسية الغريزية: «... لا رهبانية في الإسلام». لا يعتمد الإسلام أسلوب كبت العلائق الدنيوية أو التقشف الزائد ـ بمعنى الانزواء وترك المجتمع ـ ولكنه يطالب بهما بما يحفظ البساطة والنزاهة في الحياة الاجتماعية لأنه قرر القوانين، الفردية منها والاجتماعية، بما يتلاءم مع فطرة الإنسان ولهذا يؤكد على ضرورة الزواج وتأسيس الأسرة بهدف ضبط الغرائز وتلبية الاحتياجات النفسية ـ الاجتماعية للأشخاص بما يهذب وضع المجتمع الإنساني ويمهد التناسل وتنشئة الجيل.

نقول بإجمال أن المذاهب الدينية والأخلاقية نصت على أن سلامة المجتمع أساساً ترتكز على سلامة الأسرة فنأتي وصاياها مؤكدة على ضرورة البرمجة والتخطيط من أجل إحكام بناء صرح الأسرة والحفاظ على أجوائها المقدسة.

ظهور وتحول الأسرة في العالم

الزواج وتأسيس الأسرة سنة اجتماعية عريقة التراث، أَلِفها التاريخ منذ العهود الغابرة، بل منذ بداية الحياة البشرية، فقد ساد هذا الميثاق المقدس وما زال سائداً بين جميع الملل والنحل الدينية وغير الدينية في شتى الأزمنة والأمكنة. فالمرأة والرجل يبتدئان وفقاً لهذا الميثاق حياة مشتركة، وتتكون هذه المنظومة (الأسرة) من أشخاص تربطهم مع بعضهم إما أواصر زوجية أو لحمية، وثقافة مشتركة فيعيشون في وحدة خاصة. يعرب علماء الاجتماع والمفكرون عن آرائهم ونظرياتهم حول الأسرة

على النحو التالي:

١ ـ الأسرة وحدة منتظمة: الأسرة جزء من المنظومة الشاملة في المجتمع وترتبط به ارتباطاً وثيقاً حيث تشغلها عملية تعامل مستمرة مع المجتمع.

٢ ـ النزعة التكاملية في الأسرة: للأسرة نظام معين فهي تجتاز وباستمرار مراحل التنامي والتسامي الواحدة تلو الأخرى.

ـ والأسرة كوحدة اجتماعية اجتازت مراحل ثلاثاً، هي:

أ ـ العلاقة الحرة: وهي مرحلة خاصة من مراحل تكون الأسرة، انعدمت فيها القوانين والمبادئ المتحكمة بالعلاقات ما بين الجنسين وتضاءل مفهوم الشرعية والجانب الثقافي فيها. وكان كل شيء تابعاً للغرائز الطبيعية وتلبيتها.

ب ـ الأسرة اللحمية: وهي ظاهرة تتحكم خلالها العقود الزوجية والشرعية الاجتماعية في الحياة.

ج ـ الأسرة العصرية أو الأسرة النووية، وهي الأسرة التي تتضمن الأب والأم والأبناء وتتكون على أساس الأواصر الزوجية وتقتصر على الزوجة الوحيدة.

ـ الأسرة وحدة متعددة الهيكليات، ومنها الجوانب: الحيوية، النفسية، الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية، وتتباين الأنماط الأسرية نظراً لتنوع هذه الجوانب وتناسباً مع الزمان ونوع وطابع المجتمعات. ومن هذه

الأنماط:

أ ـ الأسرة الحياتية أو الزوجة والزوج من ذوي العلاقة الشرعية الاجتماعية مع بعضهما والعلاقة الحياتية مع الأبناء.

ب ـ الأسرة المزدوجة: وهي مجموعة اجتماعية تتضمن عائلتين أو عدداً من العوائل النووية التي تعيش في دار (وحدة) واحدة، مثل الأسرة المتعددة الزوجات.

ج ـ الأسرة الواسعة: أسرة تتكون من عدة أجيال تعيش معاً.

د ـ الأسرة ذات السلطة الأبوية: وهي الأسرة التي يهيمن عليها الرجل وتدل على سيادة الرجل لا في البيت فقط بل على نطاق المجتمع أيضاً.

هـ ـ الأسرة تحت سلطة الأم: وتتفوق المرأة في هذا النمط من الأسر من حيث الأهمية إذ تتعهد بأمر اتخاذ القرارات الهامة ووضع السياسات المتبعة في الأسرة.

والزواج وتأسيس الأسرة بشكل عام هو حاجة طبيعية تنبثق من فطرة وخلقة جميع الناس وينبغي أن لا نتصوره عقداً اجتماعياً مألوفاً لا يتعرض النظام الاجتماعي لأية مضرة في حالة عدم تحققه بل بالعكس تتسبب أية مضرة تلحق بهذا البنيان المقدس في استجلاب تبعات التحول البنيوي الشامل في المجتمع وفي أنظمته القيمية والثقافية. فإهمال الزواج وتقويضه أمر غير مألوف ويعتبر خروجاً عن سنة اجتماعية مرغوبة وإهمالاً لحاجة طبيعية. وهذا ما يخالف ما ارتآه نظام الخلقة والمشيئة

الالهية لبني الإنسان.

الأسرة من وجهات النظر المختلفة

يعم مبدأ الاختلافات الفردية الأسر أيضاً، فالأسر تختلف عن بعضها من الجوانب العاطفية، الاقتصادية، الثقافية، الاجتماعية، العقائدية، الدينية، الأخلاقية المتنوعة وحتى الرؤى السياسية والأساليب التربوية، فغنى بعض العوائل مثلاً لا يتعدى الجانب المالي بينما تتمتع مجموعة أخرى من العوائل بغنى خاص على صعيد العواطف والقيم الأخلاقية. ويتم الارتباط وتبادل الآراء بين أعضاء بعض العوائل بانفتاح وفي غاية السهولة ومع رعاية احترام جميع الأعضاء بينما يصعب مثل هذا الارتباط بين أعضاء مجموعة من الأسر. بعض العوائل ترضى في حياتها بما وهبت منها وتقتنع به فتحمد الله وتشكره عليه وبعضها تتنكر للنعم رغم وفرة ما رزق منها.

لقد وهنت البنية التربوية والأخلاقية في الكثير من المجتمعات العصرية وتعرضت للتزعزع. يرى الخبراء الأسريون وأخصائيو علم نفس الاجتماع أن هذه الزعزعة تضرب بأطنابها بين العوائل التي تفتقد للاستقرار والثبات. ويكون غياب الأب لفترات طويلة عن المنزل؛ ابتعاد الأمهات لساعات مديدة عن الأسرة بسبب عملهن خارج الدار؛ الأزمات الاقتصادية والاجتماعية المستعصية، والأهم من كل هذا اضمحلال فاعلية القيم الدينية والأخلاقية، العامل الأساس لهذه الزعزعة وعدم

الاستقرار في الأسرة.

وتختلف التعاريف التي وضعها علماء النفس حول الأسرة بحسب ما يستجلب تأكيدهم من الجوانب الحياتية، الجسمية، الثقافية، النفسية والاجتماعية، فمثلاً يرىٰ لووي[١] (١٩٧٩)، أن الأسرة وحدة اجتماعية تقوم على أساس الزواج أي الصورة التي يرتضيها المجتمع للعلاقات الجنسية. فهذا التعريف يؤيد الجانب الحياتي ـ الثقافي في الأسرة.

والأسرة باعتبارها أصغر وحدة اجتماعية تمثل مرآة للعناصر الأساس في المجتمع فتعكس صورة عن الوضع الاجتماعي السوي أو الشاذ السائد في المجتمع. ولهذا يرىٰ علماء نفس الاجتماع أن المجتمع القويم قد تكوّن من العوائل السوية والعوائل السوية هي التي تكون المجتمع القويم.

الاسرة منظومة اجتماعية:

تعرّف النظرية النظامية لفرينتش[٢] (١٩٧٧) الأسرة على أنها مجموعة من الأفراد ومجاميع من القوانين والقواعد المتحكمة بالعلاقات بين الأشخاص وفاعلياتهم. إذاً الأسرة حسب النظرية النظامية تتبع القوانين المتحكمة بأي من المنظومات. فعلى سبيل المثال:

---

1. Lowie.
2. Frinch.

١ ـ السيادة: الفاعلية العامة للأسرة تفوق مجموع فاعليات أعضائها.

٢ ـ **قابلية التحول**: يتعرض الأعضاء في منظومة الأسرة إلى تحول مطرد في النواحي الجسمية، النفسية، الاجتماعية والأخلاقية المختلفة ويمكن تعريف عملية هذه التحولات في إطار قوانين الأسرة وقواعدها.

٣ ـ **التنظيم الذاتي**: تخضع الأسرة رغم ما يعتريها من تحولات متواصلة للإشراف الذاتي مما يمنحها ثباتاً نسبياً دائماً، أي أن الأسرة منظومة عضوية مفتوحة يسودها توازن نسبي ذاتي رغم حقيقة تأثرها بقوة داخلية دائمة الفاعلية.

وجاء في تعريف البورت[1] حول الاسرة باعتبارها منظومة: هي مجموعة معقدة من عناصر وأشخاص هم في تعامل متبادل مستمر مع بعضهم.

بناء الأسرة:

يتم تعريف بناء الأسرة في إطار أجزاء الأسرة، الأدوار، القيم والمعايير السوية للأسرة. ولنا أن نقسم بناء الأسرة النووية إلى أربعة عناصر أساسية لكل منها حدود، احتياجات وتوقعات الفرد، الزوجة والزوج، الأخت والأخ والأب والطفل. وفي الأسرة تتفاعل مختلف أنواع المنظومات الأسرية الذاتية والبيئية مع بعضها.

---

1. Alport.

يقتضى على العوائل أن تنسق وتنظم شؤونها وفقاً للأدوار المتعلقة بتنظيمات عناصرها بغية الحفاظ على فاعليتها اللازمة في الحياة اليومية حيث تتشابك فاعلية الأدوار في الأسرة مع قيمها على صعيد تحديد عمل كل من أعضائها وكذلك نمط إنجاز أي من الأعمال. ويمكن تصنيف الأدوار إلى نوعين وعلى ثلاثة مستويات: تحديد الأدوار بحسب الخصائص الذاتية، مثل: العمر أو جنسية الفرد (كما هو في أدوار الأب، الأم، الإبن والبنت) أو طبقاً لمكانة الأفراد الاجتماعية أو خصائص الشخصية (مثل الزعامة، الانتماء و...).

ويحدد فريمان[1] (١٩٧٧) لكل من الأدوار ثلاثة مستويات:

- الأدوار الفردية.
- الأدوار العنصرية.
- الأدوار الأسرية والتي تؤديها الأسرة بأسرها وتتعلق بالارتباط المتبادل مع البيئة والمجتمع الأكبر.

والى جانب ذلك تتنامىٰ في داخل الأسرة منظومة من المعايير السوية والقيم باعتبارها جزءاً من بناء المجتمع. تستسقىٰ هذه المعايير السوية والقيم -التي تؤلف مجموعة جديدة من المبادئ في الحياة الزوجية المشتركة- من خبرات الزوجة والزوج المستحصلة قبل استهلال الحياة

1. Freeman.

الزوجية لاسيما فيما يخص عائلتيهما الأصليتين، وبهذا يتبين تدخل كافة القيم الاجتماعية، الأسرية منها والفردية، في تعريف السلوك في الأسرة.

فاعلية الأسرة:

تتنوع وتتباين فاعليات الأسرة على الأصعدة المختلفة (الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، النفسية، الجسمية، العقائدية والأخلاقية)، وتنعكس آثار هذه الفاعليات على جانبين مهمين وأساسيين من فاعلية الأسرة، هما:

أ ـ المسؤوليات الفاعلة التي يفرضها المجتمع على الأسرة، مثل تلبية الاحتياجات الضرورية للحفاظ على النوع، التعليم والتربية، تنشئة الأبناء، إيجاد البيئة الحياتية النفسية والاجتماعية المناسبة للنماء، ضبط أعضاء الأسرة اجتماعياً وإقامة الأواصر التربوية بغية تعزيز النضوج النفسي والعاطفي لأعضاء الأسرة.

ب ـ الظواهر السلوكية التي تتبلور في داخل الأسرة فتدفعها نحو الحركة والهادفية. وفرنتش (١٩٧٧) يؤكد في تعريفه لفاعلية الأسرة كمنظومة على جوانب هامة أربعة للفاعلية الأسرية:

١ ـ الاضطراب: لا يعتبر وجود الاضطراب في الأسرة بالضرورة من مؤشرات انعدام السواء بل يدل على معاناة الأسرة من الانفعال النفسي وعلى ضرورة ايجاد تحول ما في الأسرة.

٢ـ قابلية التحول: قد تكون الأسرة بحاجة إلى تغيير قوانينها وقواعدها ونمط توافقها وتكيفها مع الظروف المستجدة.

٣ـ دور الأعضاء عديمي السواء في الأسرة: تتباين أساليب تحديد العضو عديم السواء بين العوائل المختلفة.

٤ـ القدرة: تتضمن فاعلية القدرة في الأسرة أساساً اتخاذ القرار حول الشخص الذي يتسلم مسؤولية ضبط وتطبيق الجوانب الثلاثة الأخرىٰ للفاعليات الأسرية، فالشخص القدير الضليع في الأسرة هو المتمتع بالوعي، الكفيل بضبط العضو المضطرب، وهو على علم بضرورة حدوث التغير لدى أي من الأعضاء ومن هو عديم السواء في الأسرة.

بملاحظة هذه الجوانب الأربعة يسعنا أن نتنبه إلى وضع السلامة والسواء ونمط الفاعلية في الأسرة.

ويعرف شولمان[١] (١٩٧٧) منظومة الأسرة بأنها سلسلة من الأواصر والعلاقات بين الفرد والمجتمع الأكبر وبهذا تتعهد الأسرة في المجتمع بدور الرابط وبإيجاد وإقامة العلاقات بين الفرد والمجتمع.

والأسرة كسائر المنظومات الأخرى يتم توجيهها من ظاهرتين تعتبران ضروريتين للحفاظ على كيانها:

أ ـ ينبغي على منظومة الأسرة أن تتسم بالثبات والنظام والقدرة

---

1. Schulman.

الكافية على التنبؤ واستطلاع المستقبل مما يمكنها من أداء دورها بمعزل عن المنظومة الأكبر أو المجتمع الذي تنسب إليه. بناء على هذا يتم وصف العوائل على أنها تتمتع بتنظيم مستقل لتوزيع القدرة وبمجموعة من القوانين المتحكمة في فاعلياتها. وتتأطر الأسرة بحدود معينة تفصلها عن العالم الخارجي.

ب ـ تحظى الظاهرة الثانية بنفس الدرجة من الأهمية وتتضمن المسارات الحركية الهادفة من داخل الأسرة إلى الخارج ومن خارج الأسرة نحو الداخل، وهي مدعاة التحول والتنامي فيها فلابد من وجود الترابط والتعامل المتواصل بين الفرد والأسرة والمجتمع الأكبر.

الأسرة السوية:

نص تعريف ديفيد[1] للأسرة السوية على أن: «الوحدة الأسرية السوية هي الأسرة التي تتوافق وتتكيف بشكل فاعل مع الاندفاعات الثقافية، البيئية، النفسية ـ الاجتماعية والاقتصادية في مختلف مراحل دورة الحياة الأسرية». ويؤكد هذا التعريف بشكل عام، كما نرىٰ، على العوامل الثقافية. وتنبثق فاعلية الأسرة السوية من الوعي بالخيارات واتخاذ القرارات الضرورية وكذلك معرفة الأساليب المختلفة ومدى التقييم الواقعي للنفقات ولنتائج الخيارات. أي أن الخيارات واتخاذ

1. Divid.

القرارات الصحيحة في الأطوار الحساسة من الحياة (بشأن الزواج، المهنة و...) والتقييم الدقيق والواقعي لتبعات ونتائج مثل هذه القرارات وأخيراً معرفة الأساليب والطرق المتنوعة هي جميعاً خصائص تعزز دور وفاعلية الأسرة السوية.

الأسرة غير السوية:

عرّف خبراء نفس الأسرة في المؤتمر العالمي للمشاورين المنعقد في عام ١٩٩٠م بأوهايو، الأسرة كما يلي:

- من المؤلم للغاية أن يتطبع أي من أنماط التكيف مع الحياة أو تلبية الاحتياجات باللاسواء أو بالعجز عن تحقيق هدفه في تلبية الاحتياجات، فالأنماط غير السوية غالباً ما تكون سلوكيات مكتسبة عن استجابات الفرد إزاء الأب، الزوجة أو أي شخص مدمن أو عصابي آخر يعيش معه المرء أو يكون على علاقة وثيقة معه (بيتي[1]، ١٩٩٠).

- إشباع الاحتياجات بأساليب لا ينجم عنها تلبية الاحتياجات (اسكوت[2]، ١٩٩٠).

- تثبت المواقف العاطفية النفسية والسلوكية في الشخص إثر مواجهة طويلة مع مجموعة من القوانين القمعية التي لم تمنح الشخص قط فرصة

---

1. Beattie.
2. Scott.

للتعبير بحرية عن مشاعره أو للتحدث مباشرة عن مشاكله العاطفية والارتباطية (سوبي[1]، ١٩٩٠).

ـ اضطراب ناجم عن مرض وراثي في المنظومة التي يعيش الفرد ضمنها ويدعىٰ هذا المرض حالة التعود وهي في الواقع التعود على الكذب (شيفي[2]، ١٩٩٠).

ـ الظروف الخاصة التي تتسبب في انشغال ذهن الفرد أو في تعلقه الزائد (العاطفي، الاجتماعي وأحياناً الفيزيائي) بشخص آخر أو بسلوك ما (مثل: القمار، الوسواس الجنسي، المظاهر السلوكية و...). ويتنامىٰ هذا التعلق على مر الزمان حتى يغدو اضطراباً نفسياً ينتهي بالقمع العاطفي والانخداع والسلوكيات الوسواسية التي تؤدي بالتالي إلى ازدياد الشعور بالخجل، هبوط الإباء وتأزم المشاكل الارتباطية والتعقيدات الطبية. (شارون[3]، ١٩٩٠).

أنواع العوائل غير السوية:

تنقسم العوائل غير السوية حسب تصنيف سوبي (١٩٩٠) كما يلي:

١ ـ العوائل المستهلكة للكحول، المخدرات والأدوية والمركبات

---

1. Subby.
2. Schaefy.
3. Sharon.

الكيمياوية.

٢ـ العوائل المعانية من الاضطرابات العاطفية أو النفسية المزمنة (الحقيقية منها أو الخيالية). يكون الأبوان في مثل هذه العوائل عصابيين يهابون الاختيار أو اتخاذ القرار فيتجنبون هذه الأمور ويترسخ لدىٰ أبنائهم طابع الجبن مما يؤدي بهم إلى العجز عن اتخاذ أي قرار أو عن الاختيار.

٣ـ العوائل التي يتعرض فيها الأبناء للتعسف جسمياً، نفسياً أو جنسياً.

٤ـ العوائل ذات المنظومات المغلقة أو المتحفظة للغاية، فأطفال مثل هذه العوائل يسلبون كل فرصة قد تسنح أمامهم لتقييم مشاعرهم وقيمهم بل يتوقع منهم تقبل رؤى وقيم المنظومة الأسرية المغلقة دون نقاش. إن أسلوبي التشدد والحكم المسبق اللذين تتبناهما هذه العوائل يمثلان عائقين يحولان دون مواصلة حياة سوية.

ويرىٰ (سيرماك[1]، ١٩٩٠) أن الأسرة غير السوية تضع العراقيل أمام أطفالها خلال المراحل الطبيعية لنموهم في طور الطفولة، وهي المراحل الأساسية لنضوج الفرد عاطفياً ونفسياً بشكل مطلوب. إن عرقلة النمو في مراحله الطبيعية إنما تؤدي إلى تبلور الأنماط السلوكية غير السوية من قبيل التابعية الشديدة. تعجز العوائل غير السوية، وبسبب انشغالها

---

1. Cermak.

بقضاياها ومشاكلها عن الاهتمام بشكل كاف باحتياجات الأطفال مما يفقدهم بالتالي الثقة بالعالم المحيط بهم فيتوجهون في نهاية المطاف لتلبية احتياجاتهم بأي طريق ممكن. والتمايز السائد في البيئة يولد لديهم النزعة القوية للإشراف على الذات وعلى البيئة المحيطة بهم.

نضوج وتكامل الأسرة

تجتاز الأسرة مراحل هامة في مضمار النضوج والتكامل إلى جانب مراحل النضوج والنماء الفردي. واتساق هذه المراحل مع بعضها بسبب انسجام الاحتياجات والقضايا يفرز منظومة تتضمن الدعم المتبادل. عندما تتم عملية التحول بشكل تدريجي وتكون الأسرة على استعداد واف لمواجهة الظروف الانفعالية في الحياة، يجتاز النمو والنضوج مراحله الطبيعية بهدوء. إن انشغال الأسرة على أية حال بأمر آخر يعزز الفاعلية غير السوية في الأسرة.

الأسرة، منظومة عاطفية:

يتناول فريمن (١٩٨١) بالبحث مختلف الظواهر السلوكية أو العمليات الضرورية بالنسبة لفاعلية الأسرة باعتبارها منظومة عاطفية. وتتضمن هذه الظواهر بحسب رأيه:

الإخلاص: الإخلاص هو الالتزام العاطفي الذي يتبناه الشخص إزاء شخص أو مجموعة أخرى. تتشابك هوية الطفل، منذ الطفولة، مع الأسرة

والتاريخ الأسري. ومعززات الإخلاص في الأسرة هي: التمتع بالحرية في السلوكيات التي لا يسمح للفرد القيام بها خارج الدار، الروايات العائلية والعلاقات بين أعضاء الأسرة. ويمكن عند تدارس القضايا المتعلقة بالإخلاص التركيز على الصعيدين التاليين:

أ ـ قد يتراوح الإخلاص والوفاء في الأسرة من أعلىٰ درجاتهما المقيدة للفرد وحتى الانسياب وفقدان التضامن.

ب ـ لابد لأعضاء الأسرة من إيجاد التوازن بين احتياجات الذات والاحتياجات الجماعية للأسرة دون الشعور بالإخلال بخصيصة الوفاء والإخلاص إزاء الأسرة.

الاتحاد: هو تآلف عناصر الأسرة مع بعضها (مثل الأبناء)، وقد يكون هذا التآلف مدعاة ظهور مؤشرات السواء أو انعدام السواء، ففي الفاعلية السوية يمهد التآلف الطريق أمام إقامة العلاقات والارتباط ويعمق مشاعر التقبل والانتماء. وفي الفاعلية غير السوية يؤدي هذا التآلف إلى الإضرار بالوحدة وبالانسجام العاطفي بين أعضاء الأسرة.

التخيل والتحريف: بما أن الأسرة منظومة عاطفية فإن جزءاً هاماً من التعاملات فيها يتركز على القضايا العاطفية، وبازدياد فاعلية هذه القضايا يزداد احتمال تغلغل التحريف أو التخيل إليها. والابتعاد عن الواقع ينجم عنه بالتالي اغتراب الفرد والأسرة عن الذات وخمود التعاطف الصادق خلال العلاقات بين أعضاء العائلة في نهاية المطاف.

الروايات الرومانسية: وهي جزء من التصورات الشخصية للفرد تنبعث عادة في الأجواء الحية التي تحيط بالطفل عند ميلاده في منظومة الأسرة. فشخصية الفرد في الأسرة تتأثر بتاريخ الأسرة والرومانسيات الخاصة بها، فتتبلور هذه الشخصية بنحو يؤثر في نمط أدواره ومسؤولياته في الأسرة.

الارتباطات: تحافظ الأسرة كمنظومة عاطفية على كيانها وبقائها عن طريق الأنماط الارتباطية. ويفسر أعضاء الأسرة العلاقات داخل الأسرة باعتماد مصادر تخرج عن نطاق الأسرة. إن الارتباطات غير الشفهية، أساليب التحدث وانتقاء العبارات تعزز هوية الأسرة وتكبح تأثير الآخرين في الأسرة.

التميز عن الآخرين: ويعني القدرة على تعريف الذات: من أنا؟ ماذا أريد؟ وبم أفكر؟ ما هي أهدافي في الحياة؟ أي الأعمال متأهب أنا لإنجازها؟

ومجموعة إجابات هذه الاستفسارات تميز كل فرد عن غيره من الأشخاص. ويرى (فريمان وبوين[1]، ١٩٦٦) أن هذه العملية تستهل مع بداية ولادة المرء ولكنها لا تنتهي أبداً. ويتم تعريف هذه الخصائص في البيئة الأسرية عن طريق الدعم، الأمان والثبات مما يمكن الطفل من اختبار عملية التميز التدريجي عن الأسرة، وهي عملية تعرض الطفل بين

1. Freeman and Bowen.

الفينة والأخرىٰ لاختبار الصراع فيما يخص ارتباطه مع الأسرة. فهذا الصراع يظهر على سبيل المثال عندما يعمد الطفل للقيام بعمل أو التحدث عن أمر لا يرضاه الأبوان.

وعلى أية حال يجتاز الطفل في مسيرته التكاملية في الحياة دورتين مهمتين على صعيد عملية التمييز عن الآخرين:

١ ـ في المرحلة ما بين (٢,٥ ـ ٥) أعوام من العمر.

٢ ـ بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة من العمر. وهي مرحلتان تبلغ فيهما عملية التميز عن الأسرة ذروتها، والأسرة تعرض الطفل في هذه المرحلة للتعقد إن لم تدرك احتياجاته في هذا المضمار.

إن أكثر الطرق شيوعاً لمواجهة التوتر عندما يعم الاضطراب منظومة الأسرة هي طريقة المثلث العاطفي أي أن يركز شخصان اهتمامهما في شخص ثالث. وهذا التحول في الاهتمام له دور في إخماد التوتر، فاتباع طريقة المثلث العاطفي يعمل على استقرار المنظومة ويقلل من الاضطراب.

الضغوط النفسية: يعرف فرنتش (١٩٧٧) الضغوط النفسية بأنها كل ما يخل توازن الكائن الحي لفترة من الزمن ويمنع استعادته ـ أي الكائن الحي ـ لتوازنه القبلي بسهولة. والاستجابة التوافقية (التكيفية) المناسبة إزاء الضغوط النفسية هي نمط مواجهة الكائن الحي (أو الأسرة) دون فقدان التوازن الفعلي في عملية الحياة الطبيعية.

وللضغوط النفسية الخفيفة دور في تحسين نمو الكائن الحي عن طريق توجيهه نحو القابليات التكيفية والنمائية. بينما الضغوط النفسية الشديدة تكون بحاجة لصرف طاقة هائلة من قبل الأسرة كي تحفظ توازنها وهذا ما يضفي، ولو لفترة من الزمن، الصعوبة على عملية العودة إلى الوضع الأولي.

ومن شأن الأسرة باعتبارها منظومة أن تحتفظ بتوازنها إلى جانب حصر الحاجة إلى صرف الطاقة بمعنى أنها تغض الطرف عن الضغوط النفسية أو أنها تصرف طاقة كبرىٰ في سبيل مواجهة هذه الضغوط.

فالأسرة التي تعمد للحد من الضغوط النفسية إلى حد ما بإسهام الأبناء في عملية التسوية بين الزوجين بدلاً من مواجهة المشاكل الزوجية بشكل مناسب، تخلق جواً نفسياً مملاً يؤثر في الفاعلية الأسرية.

دورة الحياة الأسرية

دورة الحياة الأسرية مفهوم يعتمده بشكل واضح العلاج الأسري وهي التي يتم خلالها تدارس مؤشرات الفاعلية الرديئة (غير السوية) مقارنة مع الفاعلية السوية للأسرة. ويمكن تفحص وضع الأسرة من خلال أنماطها السابقة وكذلك سلوكياتها الحالية (وتوجهاتها المستقبلية). ومن وجهة نظر هالي[1] (١٩٧٣) تكون الضغوط النفسية التي تتعرض لها

1. Haley.

الأسرة أقسىٰ ما تكون عليه عند انتقالها من مرحلة إلى أخرى، وأن هذه المؤشرات تظهر عندما تتعرض دورة الحياة الأسرية إلى التوقف والانقطاع.

مراحل دورة الحياة: يرى كارتر[1] وزملاؤه (١٩٨٢) أن دور العوامل الثقافية في دورة الحياة الأسرية دور في غاية الأهمية وأن المجاميع الثقافية المختلفة لا تتفق بالضرورة مع بعضها حول تعريف الوظائف في المراحل المختلفة من دورة الحياة. إنهم يقسمون دورة الحياة الأسرية إلى المراحل الست التالية:

١ ـ **استقلال الكبار:** يسعى الشاب في هذه المرحلة للتميز عن أسرته الأصلية وأن يتمرن على تحقيق أهدافه الشخصية في الحياة قبل تأسيس منظومة أسرية جديدة. ففي هذه المرحلة يسعىٰ كل فرد للتأهب للحياة الجديدة إلى جانب استمتاعه بحيازة الأسرة الأصلية. والمشكلة الكامنة في هذه المرحلة هي أن الشاب أو أبويه لا يستشعرون الحاجة إلى التخفيف من العلاقات في تلك الظروف. أي أن الأبوين يشجعان الشباب من أبنائهما على التعلق بهما والشباب أيضاً يرغبون في الحفاظ على تعلقهم وانتمائهم.

٢ ـ **زواج الشباب:** يعتبر تأسيس الصرح الزوجي مرحلة انتقالية صعبة ومعقدة. والزواج يقتضي إعادة تعريف الأفراد من قبل الذات

---

1. Carter.

والأبوين. وفي هذه المرحلة يفترض على المرأة والرجل تقبل الأدوار الجديدة وتشعر كل من عائلتيهما الأصليتين أيضاً بالتوتر وبالضغوط النفسية التي تصحب تقبل عضو جديد في الأسرة، فالزواج لا يعني تزاوج شخصين وضرورة توافقهما مع بعض فقط بل يتضمن اندماج المنظومات الأسرية المعقدة. وهذا ما يزيد من صعوبة التوافق والتكيف. ومشكلة ابتعاد الشباب المتزوجين عن أسرهم الأصلية مشكلة تختلف عن تأسيس الصرح الزوجي.

٣ ـ الأسرة اليافعة والأبناء الصغار: عند ولادة الطفل ينبغي على المرأة والرجل التكيف مع منظومة الأسرة الجديدة وإيفاء دور الأبوة والأمومة المطلوبة منهما، والأبوان اللذان يستثقلان عبء دوريهما الجديدين يفتقدان في الواقع الحلم اللازم لتحمل سلوكيات الأبناء المنبعثة من حاجتهم لتأكيد الذات، فتتركز مشكلتهما الأساس في سلوكيات أبنائهما.

٤ ـ العوائل ذات أبناء من الناشئة: يكون الأبوان في مثل هذه العوائل في متوسط العمر أي أن الأسرة بحاجة لتغيير نمط علاقة الأبوين بالطفل ومنح الناشئة قدراً أكبر من حرية التصرف داخل منظومة الأسرة. وتبرز المشكلة الأساس في هذه المرحلة للعوائل عندما تحسب الناشئة أطفالاً فتتوقع منهم ما تتوقع من الأطفال الصغار. ويتوجب على الأبوين أن يمنحا المراهق من أبنائهما الحرية الكافية لنيل خبرة الاستقلال ومؤازرته ودعمه في الحالات التي يعجز فيها عن القيام بعمل ما منفرداً.

٥ ـ العوائل وأبناؤهم الشباب الراشدون: يشب في هذه المرحلة الأبناء فيختبر الأبوان مرحلة خاصة من الحياة الأسرية عندما ينفصل عنهما أبناؤهما لمواصلة الدراسة، العمل أو الزواج فيغدو الأبوان وحيدين مما يجعلهما بحاجة إلى تكيف وتوافق جديد. وتمتاز هذه المرحلة من دورة الحياة الأسرية بطول أمدها وقد يطول الأمد كذلك بين ترك الأبناء الأسرة للالتحاق بالجامعات وتقاعد الأبوين اللذين يختبران في هذه المرحلة دور الجد والجدة في الوقت الذي يكونان فيه بحاجة إلى دعم (وأحياناً رعاية خاصة) من قبل أبنائهما. وقد يداهم الأبوين الشعور بالفقدان والاكتئاب. وتعد إعادة تنظيم العلاقة بين المرأة والرجل، التوافق مع الأبناء الراشدين ومع أحفادهم وغيرهم من المشاكل الرئيسة التي تواجهها الأسرة في هذه الدورة من الحياة.

٦ ـ الأسرة في نهاية دورة الحياة: وهي مرحلة في غاية الأهمية من دورة الحياة الأسرية، يكون فيها الأبوان بحاجة إلى دعم ومساعدة الأبناء وغيرهم من أعضاء الأسرة في ظروف يجتازان فيها خبرة فقدان الزوج، الأخت والأخ، الأصدقاء والأقران إضافة الى انشغالهما الدائم بالتفكير بالموت. ولنا أن نصف هذه الدورة من الحياة في الواقع بأنها وقفة متجانسة مع الحياة المنصرمة.

ودورة حياة الأسرة الطبيعية تنقسم حسب تصنيف هيل وروجرز[١]

---

1. Hill and Rodgers.

(١٩٦٤) إلى سبع مراحل حسب:

١ ـ عمر أول الأبناء.

٢ ـ مدى الانتقال أو التحول اللازم لتلبية الاحتياجات التكاملية والمتغيرة لأعضاء الأسرة في تلك المرحلة.

٣ ـ التحولات الطارئة على صعيد أهداف واتجاهات الأسرة.

ودورة الحياة تنقسم بحسب معايير هيل وروجرز إلى المراحل السبع التالية:

١ ـ **الأسرة اليافعة دون أبناء**: يعمد الزوجان في هذه المرحلة عادة إلى تنظيم الأهداف الفردية والمشتركة وإلى تقبل أساليب الحياة الزوجية المشتركة. ومثل هذين الزوجين لم يواجها بعد احتياجات وتوقعات أبنائهما.

٢ ـ **الأسرة ذات أبناء دون الخامسة من العمر**: يقضي أغلبية العوائل أوقاتهم في هذه المرحلة في الدار إشرافاً على ترعرع وتربية الأبناء. ويمثل الأبوان الشابان مصادر المعلومات والإشراف في هذه المرحلة التي يتركز فيها الاهتمام على الطفل في الأسرة.

٣ ـ **الأسرة ذات أبناء في مرحلة الابتدائية**: يتركز اهتمام الأسرة في هذه المرحلة على تعليم وتربية الأبناء وتأهيلهم اجتماعياً فيكون أكبر أبناء الأسرة سناً في هذه المرحلة ما بين السادسة والثانية عشرة من العمر.

٤ـ الأسرة ذات أبناء من الناشئة (١٣ ـ ١٨ سنة): تنشغل الأسرة في هذه المرحلة بتأهيل الناشئة لتكيف متزايد مع البيئة الاجتماعية خارج الدار. تفرض توقعات الناشئة الزائدة أعباء ثقيلة على كاهل الأسرة في هذه المرحلة.

٥ ـ الأسرة ذات أبناء من الشباب (١٩ سنة أو أكثر): يعمد أبناء الأسرة الشباب في هذه المرحلة إلى ترك الدار تدريجياً بغية اكتساب الهوية وإيفاء الأدوار خارج وحدة الأسرة فتتغير أدوار الأبوين وقوانينهما وتجهد الأسرة للتكيف مع الوضع القائم بشكل ناجح.

٦ ـ الأسرة والعش الخاوي: يتم تعريف الأسرة في هذه المرحلة دون الإشارة إلى وجود الأبناء في الدار.. لقد ترك الأبناء الدار وما زال الأبوان يفيان أدوارهما السابقة إضافة إلى العمل على تلبية احتياجات بعضهما وإقامة علاقات مع أبنائهما وأحفادهما تختلف عما كانت عليه في الماضي.

٧ ـ الأسرة في طور التقاعد والعجز (٧٠ سنة أو أكثر): لقد أتمت الأسرة إنجاز واجبها على صعيد تربية أبنائها والإشراف عليهم كما ودع الأبوان مرحلة العمل والنشاط المهني فيقتصر انشغالهما الذهني بتوفير الرفاه لبعضهما والتمتع بعلاقات مع أبنائهما، أقاربهما وأصدقائهما.

أسباب تزعزع الأسرة في العالم المعاصر

شهد العالم المعاصر تحولات هامة وشاملة فيما يخص داخل الأسرة

وخارجها. ويرىٰ ماكس وورونر[1] (١٩٧٠) أن الثورة الجنسية هي السبب في فشل الزواج التقليدي وانهيار دعائمه. والدليل على ما نذهب إليه هو قائمة نهضات التحديات على هذا الصعيد، مثل: الزواج الجماعي، الزواج أحادي الجنسية، الزواج العقدي (القابل لإعادة النظر)، الزواج خلال مرحلتين (مع الأبناء ودون الأبناء)، نهضة حرية المرأة، حرية الممارسة الجنسية المثلية، فرق المواجهة و... ويرىٰ هذان الكاتبان أن هذه الأمور تعتبر مؤشرات على سلامة المجتمعات وتحضرها لأن مثل هذه الزيجات بحسب رأيهما تؤمّن احتياجات الإنسان على وجه أتم ودون تداخل واندماج. فتلبية الاحتياجات الجنسية هي أهم هدف يحققه الزواج الجماعي إلى جانب تمتعه بتنوع الخيارات الجنسية وقلة المشاكل والتوقعات.

توصل فريق من خبراء الشؤون الأسرية والقضايا الاجتماعية بعد مسح أجري في أمريكا بإشراف براي[2] (١٩٨٨) استغرق تسعة أعوام إلى أن الأزمات الاجتماعية والنفسية في العالم المعاصر تسبب زعزعة وبالتالي انهيار العوائل. وهذه الأزمات هي: الانفعالات النفسية المتفاقمة بصدد الدراسة والعمل والناجمة عن الحياة الصناعية والتقدم التقني، التحولات الأساسية في أنماط الانتاج، التحولات الطارئة في اسلوب حياة الأشخاص، غلاء المعيشة والأزمات الاقتصادية الشديدة، حالات

1. Max and Ronner.

2. Bray.

التمييز الاجتماعي، الزيادة الفاحشة في عدد السكان، الهجرة العشوائية، الزواج والسكنىٰ في المدن، الحرية الجنسية، انتشار الإدمان والأهم من كل هذا اضمحلال أو انحلال القيم الأخلاقية والدينية التي تعرض وحدة الأسرة المقدسة لنيرانها المتوحشة القاسية وتزعزع أسس الأسرة التقليدية، لاسيما في المجتمعات الغربية فتفرز عنها البنى الحديثة التي يسمونها الأسرة.

معطيات الأبحاث حول تزعزع الأسرة:

أثبت مسح شامل أجري عام ١٩٨٩ في (١٢) بلداً من بلدان أوربا الشرقية والغربية، أن عدداً متزايداً من الرجال والنساء يحيون حياة مشتركة خارج نطاق الزواج العرفي.

١ـ **العلاقات غير الرسمية**: تعوض العلاقات غير الرسمية عن هبوط معدل الزواج في أوربا، ففي فرنسا التي تتخلف عن الدول الاسكندنافية في هذا المجال، يعيش ١٠٪ من الأزواج (مليون زوج) معاً في إطار العلاقات الحرة ويزداد هذا المعدل إلى ٥٠٪ لدى الرجال دون الخامسة والعشرين من العمر في باريس والمدن الكبرىٰ. ويفوق معدل النساء اللواتي يفضلن هذا الضرب من العلاقات معدل الرجال.. وتعتبر نهضة تحرير المرأة هذا الأسلوب الجديد للحياة مؤشراً على انتشار المساواة في المجتمع.

٢ـ **الطلاق**: يعتبر معدل الطلاق من المؤشرات الأخرى الجديرة

بالاهتمام. لقد تقلص تحمل العوائل الأوربية العصرية للزيجات غير السارة مقارنة مع ما كانت عليه في الماضي. وشهد معدل الطلاق في بلدان أوربا الشمالية منذ عام ١٩٦٥ وحتى الآن تزايداً مطرداً (باستثناء ايرلندا التي حُجر فيها الطلاق)، ومراسيم الطلاق أكثر بساطة في هذه البلدان. ويشير إحصاء أعلن في أميركا أن الطلاق طال في عام ١٩٨٨ حالة إزاء كل ثلاثة عقود زواج.

وأشار تحقيق مارتين وبومباس[1] إلى أن ٢/٣ من حالات الزواج انتهت في عام ١٩٨٩ بالطلاق وسيغدو الطلاق قريباً أمراً مألوفاً لا حالة استثنائية.

٣ ـ الأطفال خارج نطاق الحياة الزوجية: يزداد عدد المواليد خارج نطاق العقود الزوجية مع زيادة انتشار العلاقات غير الرسمية. في عام ١٩٨٠ ولد ٤٠٪ من المواليد في السويد لأمهات لم يتزوجن. وقد ازداد معدل هؤلاء الأطفال إلى ٥٪ ما بين الأعوام ١٩٨٢ و ١٩٨٦ في فرنسا. جاء في بيان أعلنه المعهد الوطني للاحصائيات الصحية في أميركا أن مليون طفل ولدوا في عام ١٩٨٩ لأمهات لم يتزوجن قط، ويعادل هذا المعدل ٦٤ ضعفاً مقارنة مع إحصاء عام ١٩٨٥ في أميركا.

٤ ـ العوائل المنهارة: وسبب انهيار أكثرها الطلاق. فتكون هذه العوائل مصدراً من مصادر ازدياد عدد المواليد خارج نطاق الحياة الزوجية.

---

1. Martin and Bumpass.

٥ـ حياة العزوبية: هناك أنماط أخرىٰ من أنماط ما تسمىٰ بالعائلة يصعب تصنيفها فهي لا تنتظم لا إلى الزواج العرفي الشرعي ولا إلى العلاقات غير الرسمية أو العوائل المنهارة وبهذا لا يأتي ذكرها في أي من الاحصائيات أو بيانات علم الاجتماع. ففي عام ١٩٨٥ كان (٢٧٪) من الرجال في الثلاثين إلى الرابعة والثلاثين من العمر و (٢٦٪) من النساء في نفس العمر يعيشون حياة العزوبية في فرنسا فيعوضون عن حرمانهم من العائلة بتشكيل الفرقة أو ما تسمىٰ أحياناً (الشلة).

٦ـ الجنسية المثلية: لا يأتي ذكر عدد هؤلاء الأشخاص أي ممارسي الجنسية المثلية (مع الجنس المماثل) في الاحصائيات الوطنية أو بيانات علم الاجتماع في أغلبية المجتمعات لأسباب ثقافية ودينية متنوعة. وهذه الممارسات شكلت أنماطاً عديدة من الحياة الاجتماعية في المجتمعات الغربية لأسباب اقتصادية، جنسية وغيرها، وهي أنماط يبدو أنها تشغل مكان الأطر التقليدية للعوائل.

لقد ساد قارتي أوربا وأميركا التصور بأن حق الحرية المنصوص عليه لا يقتصر على الحرية السياسية بل يشمل حرية الفرد في اختيار أي شكل وأي مضمون للحياة وخاصة ما يتعلق منها بطابع شريك الحياة، نمط الحياة، حق الطلاق، عدد الأطفال، الإجهاض وغيرها، وقد أطلقت أغلبية هذه الرؤى نهضات النساء ضد المعايير التقليدية للأسرة حيث يرىٰ أنصارها أن هذه المعايير لا تتلاءم مع حقوق الفرد وسعادة الإنسان.

يدل آخر تقارير دائرة شؤون الشباب التابعة لوزارة العدل الاميركية

المنتشر في عام ١٩٨٧، أن (١١٨,٦٥٥) شخصاً من الناشئة دون الثامنة عشرة من العمر هم حسب الوثائق المتوفرة (صحيفة كريستشن ساينس مانيتور ١٩٩٢)، من مواليد أمهات مدمنات على المخدرات، و ٣٠٪ منهم ينتمون إلى عوائل منهارة ولا يعيشون مع أبويهم. يذهب «أدل هـارل» أخصائي معهد شؤون المدن في أميركا أن تغلغل ثقافة العـصابات بـين الناشئة من مواليد العوائل المنهارة يمثل عاملاً من عوامل انتشار الجرائم في أميركا.

وفي تحقيق أجريناه في عام ١٩٨٥ طال الناشئة الجانحين في مركز الإصلاح والتربية في ايران ثبت أن الانتماء إلى العوائل المنهارة والإدمان من مميزات ٣٩٪ منهم. ومع كل هذه الأزمات التي تتعرض لهـا البـنية الأسرية والتحولات البنيوية التي شهدتها العوائل والمجتمعات يستوحىٰ من الكثير من الحالات أن العوائل التقليدية تتمتع مقارنة مع غيرها من الأنماط الأسرية، بمزايا أكثر ومكانة أفضل من حيث الصـحة النـفسية والسلامة الاجتماعية وانسجام الأسرة وقوة بنائها.

الفصل الثالث

المشاورة حول الزواج

المشاورة حول الزواج

المقدمة: تشير التحقيقات والمؤشرات العديدة إلى أن الشباب من المتزوجين في المجتمعات العصرية يواجهون في مطلع زواجهم قضايا وصعاباً متنوعة وأحياناً شديدة. وتمثل هذه المشاكل الدافع الأساس لمراجعة عيادات المشاورة والعلاج النفسي من قبل هؤلاء الأزواج في حين تبدو عليهم أعراض اختلالات نفسية طفيفة. ورغم توفر وسعة نطاق خدمات الاستشارة تأتي مراجعة المرأة والرجل لمثل هذه المراكز، وللأسف، متأخرة جداً في بعض الأحيان مما تصعب عملية التوجيه لحل المشكلة. ولهذا نقترح أساساً اللجوء للاستفادة من خدمات المشاورة قبل الزواج للتزود بوعي أكبر ومعلومات أوفىٰ حول الذات، خصائص الذات وخصائص الزوج المستقبلي، وكذلك أهمية الزواج وأهدافه من أجل نيل قدر أكبر من السكينة والطمأنينة قبل بدء هذه المرحلة الهادفة

والمثمرة من الحياة، أي أن يحصل كل من الرجل والمرأة علـى الفـائدة المرجوة من الاجراءات التـوجيهية قـبل الزواج، لاسـيما فـيما يـخص التوقعات المفروض عليهما تلبيتها باعتبارهما زوجة وزوجاً.

ويمكن باتخاذ هذه الاجراءات التوجيهية على يد مشاورين ضليعين متمرسين وموثوق بهم، في مراكز المشاورة، التـزود بـحيز واسـع مـن المعلومات بشأن الأهداف المـتوخاة فـي الزواج، مـعرفة دور الزوجـة والزوج من وجهة نظر علم النفس، الاطلاع عـلى المـعايير الصـحيحة للزواج وحيازة الشـروط اللازمـة للـمبادرة إلى الزواج. تـتضمن هـذه الاجراءات فائدة تفوق فائدة التوعية الجنسية.

إن افتقاد المعلومات الكافية عن أي من هذه العوامل على انفراد، لا يسعه أي يؤدي إلى انهيار الحياة الزوجية ولكنه قد يهدد سعادة الزوجة والزوج لاسيما على نطاق العلاقات فيما بينهما على مر الحياة الزوجية ولهذا يتم في سياق ذكر العوامل الاحتياطية التأكيد على ضرورة الإقبال على المشاورة قبل الزواج ومراجعة المشاورين فيما بعد الزواج أيضاً قبل تحول المشاكل الى ازمات حادة ومزمنة يتعذر فضها.

المعالجون والمشاورون الأسريون:

عرّض التطور المتزايد للعلوم والتقنية وتصنيع المجتمعات من جـهة وتقلص دور الأديان والقيم الأخلاقية والدينية من جهة أخرىٰ خاصة في العالم الغربي. سلامة، قوة بناء وهادفية الأسرة في المجتمع إلى أخـطار

جسيمة. أما الانحلال الخلقي والثقافي، الاضطرابات السلوكية والنفسية، الانحرافات وحالات عدم السواء (الشذوذ) فقد جاءت على نظام المجتمعات واستقرارها وهدوئها بمضرات ومشاكل عديدة.

وضمان الصحة النفسية للعوائل وصحة الزوجة والزوج والأبناء وتلبية احتياجاتهم النفسية والاجتماعية وتوفير مستلزمات تنامي جميع أعضاء الأسرة وازدهار قابلياتهم ومواهبهم في هذه الظروف إنما يحتم ضرورة وجود الجديرين والمتمرسين من المرشدين والمشاورين الأخصائيين والملتزمين من أجل تلبية الحاجة إلى خدماتهم.

ويتعامل المشاورون العصريون مع مختلف أنواع الأزواج والمنظومات الزوجية. وتمتاز العلاقات المنتظمة في الأسرة وبين الزوجين بغاية التعقيد. وتتضمن هذه العوائل: الأسر النووية المتكونة من الأب والأم والأبناء، العوائل المحرومة من الأبناء، العوائل المتضمنة زوج الأم أو زوجة الأب، العوائل المنهارة والعوائل الواسعة التي يتعايش فيها عدة أجيال. فعمل المشاورين يشمل توجيه أعضاء هذه المنظومات الأسرية التي قد يحتاج عدد منهم إلى المشاورة قبل الزواج، العلاج بالزواج، العلاج الأسري، المشاورة الفردية أو المشاورة حول الطلاق.

من المسلم به أن مواجهة هذا التنوع في المجالات والقضايا والمشاكل المتباينة أمر في غاية الغموض والتعقيد. إن أغلبية هذه المشاكل إنما هي انعكاس لخصائص المجتمعات التي ينتشر فيها الطلاق انتشاراً واسعاً، ففي أميركا على سبيل المثال تنتهي ٥٠٪ من الزيجات

بالطلاق ويتعرض سنوياً مليون طفل دون السادسة عشرة من العمر إلى تبعات الطلاق و ٦٠٪ من حالات الزواج الثاني تختتم بالطلاق أيضا و ١/٣ من مواليد الأعوام ما بين ١٩٨٥ ـ ١٩٩٥ يعيشون إلى جانب زوج الأم أو زوجة الأب وتتعرض امرأة من بين ست من النساء في اميركا إلى الاعتداء الجنسي. وما زال العنف يعم حالة من بين كل أربع عشرة حالة زواج. وأخيراً لا يتم اطلاع المراكز المعنية أبداً عن ٣٥٪ من حالات العنف الشديد في الأسر[١]: (أفيز[٢]، ١٩٩٢)، (براي[٣] وهيثرنغتون[٤]، ١٩٩١)، (كارتر[٥]، ١٩٨٦).

وتعم التحولات التي أشير إليها على سبيل المثال، المجتمعات العصرية الأخرىٰ أيضاً بفارق في المعدلات. وهذا ما يستجلب الاهتمام المتزايد بأمر المشاورة حول الزواج والأسرة وبالحاجة إلى إعداد الأخصائيين في هذا الحقل. إن نمط الاستجابة للمناهج الاستشارية أو العلاجية المتبعة لحل هذه المشاكل يقتضي التأكيد على الاستعاضة عن العلاج النفسي التقليدي بالمعالجات الاستشارية النظامية. (كولبورون[٦]،

---

1. Journal of Counseling and Development, nov. 1995,V.74.

2.Avis.

3.Bray.

4.Hetherington.

5.Carter.

6.Colburn.

.(١٩٨٩

ويـؤلف الازواج والأسـرة مـوضوع بـحث تـتناوله جـميع الفـرق التخصصية في حقول العلوم السلوكية. وحـتى فـرويد الذي لم يـنشغل مباشرة بالأسرة إلا أنه كان يؤمن بأهـمية المـنظومة الأسـرية بـمعناها التقليدي (مينوتشين[١]، ١٩٧٤).

ولكل من الأخصائيين من أمثال المشاورين، المحللين النـفسانيين، علماء النفس، المعالجين الأسريين، رجال الدين والعـاملين فـي سـلك الإغاثة الاجتماعية، تاريخ في تعامله مع الأزواج ويتضمن خبرات فشل عديدة حثتهم على إيجاد تحولات مدهشة في اتجاهات المشاورة حول الزواج والعلاج الأسري.

ويحاول المشاورون والمعالجون النفسانيون العاملون في سلك المهن التوجيهية على مر التاريخ، التعامل مع الفرد بادئاً ثم الزوجين وأخيراً مع الأسرة بأسرها. نشأت المشاورة حول الزواج في أميركا من المشـاورة والعلاج النفسي وكذلك من الدراسات حول الأسرة واجراءات التـوعية الخاصة بها. (نيكولز[٢]، ١٩٧٩).

ومع وجود مختلف أنواع المشـاورة والعـلاج الأسـري ومـجموعة المنظمات الأخصائية الخاصة بإعداد الطاقم البشري المـختص، تسـتند

1.Minuchin.

2.Nichols.

حركة المشاورة حول الزواج في الوقت الحالي إلى الأسرة باعتبارها منظومة موحدة. بعبارة أخرىٰ يتم التعامل مع الدوافع الكامنة داخل هذه المنظومة عند النظر في مشاكل كل من أعضاء الأسرة فتنتقل المشاورة والعلاج عما يختبره الفرد في نفسه إلى التحولات داخل المنظومة وبالتالي يتم توجيه ذاك العضو على هذا النحو. (هالي[١]، ١٩٨١).

وقد أدرجت التقنيات والنظريات النظامية في أيامنا هذه، ضمن أهم المواضيع التي يتم تدارسها في مناهج إعداد المشاورين. (سكستون[٢]، ١٩٩٤).

إن الانتقال من النظريات الفردية إلى النظريات النظامية في الأسرة أمر معقد ومستعص رغم إدراج التفكير النظامي (المنهجي) والاتجاهات الخاصة به في مناهج إعداد المشاورين.

معايير إعداد المشاورين الأسريين

بادرت اللجنة الدولية للمشاورين حول الزواج والأسرة[٣] في عام ١٩٨٨ إلى تحديد معايير إعداد المعالجين والمشاورين حول الزواج والأسرة. ومن الخصائص الرئيسة لهذه المعايير:

1.Haley.

2.Sexton.

3.I.A.M.F.C.

ترقية المعلومات والمهارة في أسس المشاورة (الفردية، الجماعية، المهنية، والبيئقافية)، التأكيد على المشاورة الفردية حول الزواج والمنظومات الأسرية، التأكيد التصوري على المنظومات الخارجة عن نطاق الأسرة والمتعاملة معها، إجراءات التوعية العيادية وتتضمن الإشراف على ممارسات المعالج وأسلوب تعامله مع الأفراد (الأزواج والأسرة) وإدغام مناهج المشاورة الفردية والاتجاهات النظامية مع التعامل مع الأفراد (الأزواج والأسرة).

ينبغي أن لا ننسىٰ أن إعداد المشاورين حول الزواج والأسرة هو فرع اختصاصي يتوسط فروعاً أخرىٰ مثل: المشاورة، الدراسات الأسرية، علم النفس، علم الاجتماع، الإغاثة الاجتماعية، التحليل النفسي وغيرها. إذاً من شأن كل من يحمل مؤهلات علمية عليا في هذه الحقول أن يحوز شهادة المشاورة حول الزواج والأسرة بعد الانضمام إلى الدورات الاختصاصية في هذا المجال.

الزواج والمخاطر التي تهدده

يستهل فريق كبير من الأزواج حياتهم الزوجية بالقول: «لا يفصلنا عن بعض سوى الموت». ومع أن كلاً من الزوجة والزوج قد يشعر بأنه سيلتزم بهذه العبارة إلى الأبد إلّا أن واقع الأمر يخالف ذلك في بعض الحالات. تبين أبحاث الخبراء الأسريين أن ما يناهز (٥٠٪) من الأزواج يقيّمون زواجهم في نهاية المطاف بأنه فاشل.

يمثل الزواج دون ريب أحد أكثر وقائع حياة الراشدين ونشـاطاتهم قيمة وقدسية. تشير الإحـصائيات الجـارية إلى أن ٩٧٪ مـن مـجموع الراشدين أقدموا على الزواج ولو لمرة واحدة في العمر (كارتر، ١٩٧٣). لا عجب أن نقول أن الزواج قد احتفظ بمعدله ثابتاً على وجه التقريب طوال الخمسة عشر عاماً المنصرمة بحسب الاحصاء العـالمي بـينما لا يصدق هذا القول حول الطلاق للأسف فـقد صـار مـعدله فـي عـصرنا الحديث وكما يتبين من الإحصاء، إلى أضعاف ما كان عليه في الماضي. وتحتل بلدان مثل الولايات المتحدة الاميركية مركز الصدارة في قـائمة معدلات الطلاق في بلدان العالم إذ يصل إلى ٤٠٪ من مجموع الزيجات ومعدله في المدن في إيران ١٢٪، والحـال أن القـيم الديـنية والعـادات الأسرية العريقة والنبل والإيمان بقداسة الحياة الزوجية تقتضي أن يكون معدل الطلاق في إيران أقل مما هو عليه.

الطلاق وبواعثه

لا يمكن الإجابة على الاستفسارات حول سبب فشل بعض الزيجات بسهولة. حيث هنالك في الواقع مجموعة من العوامل التي تحفز الأزواج لاتخاذ القرار بشأن الانفصال عن بعض وبالتالي المبادرة للطلاق. ولنا أن نتدارس هذه المحفزات في إطار ثلاثة عوامل رئيسة هي: الاجتماعية، الشخصية والارتباطية.

١ ـ العوامل الاجتماعية:

إننا نعيش في مرحلة من الحياة لا يمكن استطلاع مستقبل تحولاتها. إن السرعة الفائقة التي يشهدها وقوع الأحداث تذهل حتى الخبراء والأخصائيين في الحقول المختلفة وتمنعهم من مواكبة هذه التحولات، كما أن تعقد تركيبة المجتمعات وخروجها عن الطابع الشخصي بشكل عام يزيد من احتمال انتشار العزلة والانزواء وانعدام الثقة في العالم. وفي خضم هذه الدورات السريعة من التحولات تتعرض قيم أبناء المجتمعات المتنوعة، معتقداتهم، آدابهم وتقاليدهم إلى الأهوال التي تنهال مع الأسف على الصرح الزوجي المقدس والعلاقات الأسرية أيضاً.

ومن بواعث الأسف ما شهدته العقود الأخيرة من انتشار أنماط خاصة للحياة استعاضت بها بعض المجتمعات الغربية عن الزواج واستطاعت استقطاب بعض المجاميع أيضاً كما هو في الزواج العقدي، الزيجات الجماعية، الزواج المثلي (اقتران أبناء الجنس المماثل) والعلاقات المفتوحة الحرة وهي أخطر ما يهدد باضمحلال القيم الخلقية، زعزعة أسس الزواج التقليدي وانهيار البناء الأسري في تلك المجتمعات.

وحتى في الزيجات التقليدية نجد اليوم أن الإيمان بتساوي الرجل والمرأة في أدوارهما الجنسية والعلاقة بينهما يتسبب في تبلور التحولات المستجدة، ولهذا لم يعد تعريف الزواج في أيامنا هذه أمراً ميسوراً، ففي الزواج التقليدي يعرف كل من الجانبين (الرجل والمرأة) مكانتهما حق المعرفة حيث كان دور كل منهما واضح المعالم.. الزوج مصدر القدرة والدعم المالي والزوجة تتعهد برعاية البيت وإدارة شؤون المنزل وتربية

الأبناء.

لقد اعترىٰ هذا الوضع تحولات ملفتة للنظر. إذ تم تقسيم المسؤوليات بين الرجل والمرأة وكانت حصيلة هذه التغييرات واضحة جـداً. فـعندما يشعر أحد الجانبين ان احتياجاته لم تُلبَّ وأهدافه لم تتحقق في الحياة الزوجية يكون أقل انعكاس لديه هو انشغال ذهنه بهذا السؤال وهو: لماذا ينبغي أن أقيد نفسي بعلاقة يكون نصيبي منها العطاء أكثر من الأخذ؟!

يقضي أكثر الأزواج العصريين في العالم الغربي، رجالاً ونساء، أغلب أوقاتهم في العمل خارج الدار ويتقلص إلى حـد بـعيد الزمـن المـحدد للقائهما ببعض وبأبنائهما فيتعرضان بسبب دوافع الانشغال الذهني هذه وكذلك محفزات الانفعال العصبي البيئية، إلى ضغط نفسي عارم. ثم أنهما وبمرور الزمن قد يبتعدان عن بعض نظراً لحـيازة كـل مـنهما أهـدافـه الخاصة. وهذا الابتعاد يعمق الهوة العاطفية والجسمية بينهما. لم تـمض حقبة طويلة على ذلك الزمن الذي كانت فيه المجتمعات الغربية تـعتبر الطلاق فاجعة وعملاً مشيناً إلّا أن كل شيء قد تغير الآن وأصبح الطلاق في الظروف المستعصية أمراً طبيعياً.

وقد استطاعت هذه العوامـل بـسـبب تـقلص دور القـيم الأخـلاقية والدينية (في المجتمعات الآنفة الذكر) أن تلعب دوراً كبيراً فـي ارتـفاع معدل الطلاق فيها وإن كان الخبراء الغربيون يذهبون إلى أن انتشار ووفرة الطلاق إنما يعود غالباً إلى أسباب اقتصادية واجتماعية.

٢ـ العوامل الفردية:

من المسلم به أن العوامل الشخصية لها دور في ظهور حالة انعدام الرضا في الحياة الزوجية ويسود الرأي القائل بأن الإدراك الخاطئ والتوقعات غير الواقعية (الخيالية) من الزواج، هي من أهم نماذج العوامل الشخصية للطلاق.

وتبين خبراتنا على صعيد المشاورة حول الزواج والأسرة أن مجموعة كبيرة من هذه التوقعات الخاطئة وغير الواقعية وانحراف إدراك المرأة والرجل بشأن الزواج، التوقعات والرومانسيات و... هي من العوامل الأساس لانعدام الرضا والتكيف لدى الزوجين في الحياة الزوجية.

ونشير هنا إلى بعض عوامل انعدام الرضا والتكيف هذه، المتبلورة بسبب التوقعات الخيالية والإدراك الخاطئ:

ـ إن ولعنا ببعض سيبقى طوال الحياة الزوجية راسخاً ومفعماً بالهياج إلى الأبد.

ـ ينبغي على زوجي أن يكون قادراً على استطلاع أفكاري ومشاعري واحتياجاتي.

ـ لا ينفعل زوجي إزائي قط طوال الحياة وستكون حياتنا سارة دوماً.

ـ يفترض على زوجي أن يلبي جميع احتياجاتي فيما لو كان يكنّ لي مودة حقيقية.

ـ إفتتان الزوجة والزوج ببعضهما يعني استمرارية واستقرار علاقة دافئة وحميمة بينهما.

ـ افتتان الزوجة والزوج ببعضهما يمنع تعرض علاقاتهما المفعمة بالاحترام وتقبل كل منهما الآخر، لأدنى خلل بسبب عمل أقدم عليه أحدهما.

ـ أتوقع أن لا أتعرض لانتقاد زوجي وعتابه في الحياة أبداً.

ـ لا يتقلص مدى ولعنا أنا وزوجي وعتابه في دورة الحياة.

ـ يتفق رأي الزوجة والزوج حول جميع الأمور.

أثبتت التحقيقات أن مثل هذه الرؤى الخاطئة والتوقعات الرومانسية لا تأتي على الزوجة والزوج إلّا بابتعادهما عن بعض وبالتالي انهيار الصرح الزوجي.

إن الأفراد آخذون بالتنامي المطرد في اكتساب المعلومات وزيادة الخبرات وبهذا لا تتثبت رغباتهم ونشاطاتهم وخصائصهم الأخرىٰ حيث أن تغير شخصية الفرد يؤول إلى تغير نمط علاقاته مع الآخرين كما أن الزوجين يقبلان على الزواج حاملين احتياجاتهما المتباينة وتاريخاً شخصياً، نفسياً، أسرياً، ثقافياً واجتماعياً متمايزاً. وتتسبب الأدوار والأنماط التي يتبعها الزوج والزوجة في حياتهما الشخصية بالطبع في زيادة تعقيد الحياة الزوجية. تبين الدراسات أن الزوجين اللذين حظيا في مرحلتي الطفولة والمراهقة من حياتهما بأنماط سوية وعوائل منتظمة

ومتزنة هم أكثر توازناً ونجاحاً في حياتهما الزوجية.

٣ـ العوامل الارتباطية:

يمثل الارتباط الصحيح سواء الشفاهي أو غير الشفاهي أساس الحياة الزوجية الناجحة، ولهذا تظهر لدى الزوجة والزوج المحرومين من العلاقة السوية مع بعضهما ومع سائر أعضاء الأسرة، أعراض سلوكية خاصة، منها:

اليأس، القنوط، الإحباط، نشوب الصراع بين الزوجين، المعاناة من مختلف أنواع المشاكل المالية؛ الجنسية والسلوكية، تقلص حجم المكافآت بينهما، انعدام الرضا من الحياة الزوجية، توجيه العتاب والانتقاد إزاء بعضهما و...، وهي ظواهر تعرض الصحة النفسية لأعضاء الأسرة إلى المضرات.

اتجاهات المشاورة والعلاج الأسري

من الجوانب المهمة في العلاج الأسري، المشاورة حول المشاكل الزوجية وعلاجها، فالعلاقة الزوجية هي أساس نشوء العلاقة الأبوية. والعلاقة الجنسية بين الزوجة والزوج بدورها تمثل جزءاً هاماً من العلاقة العامة بينهما. وتكون المشاكل الجنسية أحياناً جزءاً من مجموعة المشكلة، وقد تغدو تارة أخرى المشكلة الأساسية فيما بين الزوجين. ففي الحالة الأولىٰ يتم التغلب على المشاكل الجنسية بتحسن العلاقة الزوجية العامة. وتستلزم الحالة الثانية اللجوء إلى أساليب علاجية

خاصة.

وللمشاورة حول الزواج قواسم مشتركة مع سائر أنواع العلاج الأسري وتتضمن اتجاهات علاجية متنوعة في حل المشاكل العاطفية، السلوكية، الارتباطية والإدراكية (المَعرفية) بين الزوجين (باركر[١]، ١٩٨٥)، وهذه الاتجاهات هي:

١ ـ الاتجاه المباشر.

٢ ـ الاتجاه التحليلي.

٣ ـ اتجاه (الدعم ـ الضبط).

الاتجاه المباشر: تؤكد نظرية استوارت[٢] (١٩٦٩) وليبرمان[٣] (١٩٧٠) على ضرورة اتباع الإشراط الإجرائي في اساليب العلاج السلوكي المتبعة لمواجهة المشاجرات الأسرية، إذ أنه يبدو أن أحد الزوجين أو الأبوين قد فشل في تعزيز سلوكه الإيجابي وفي مكافأة الجانب الآخر من خلال سلوكياته. أي أن المعالجين السلوكيين يذهبون إلى وجود علاقة بين الصراعات الزوجية من جهة ومدىٰ تعزيز سلوكيات الزوجين المتنوعة إزاء بعضهما وبما ينجم عن ذلك من نسبة المكافأة إلى

1.Barker.

2.Stwart.

3.Liberman.

العقاب، من جهة أخرىٰ.

ويقتضي في هذا النمط كغيره من سائر أنماط المشاورة البدء بإقامة علاقة طيبة ثم يعمد المعالج أو المشاور لتقييم الزوجين، أهدافهما ودوافعهما للتحول. وبعد ازدياد التبادلات والتعاملات الإيجابية بين الزوجين واكتسابهما المهارات الارتباطية اللازمة، يندفع الزوجان نحو الاستجابة والتجاوب الشعوري الأكثر عاطفية ودفأً ومنطقية.

الاتجاه التحليلي: ويعتمد أفكار سكنر[1] (١٩٧٦). وفي هذآ الاتجاه يقبل المعالج على تحليل مشاعر الزوجة والزوج فيلقن كلاً من الزوجين للإفصاح عن انعكاساته وأساليب تجاوبه لزوجه بانفتاح وصراحة ثم يوجههما لمواجهة القضايا بأسلوب أكثر واقعية وعقلانية إلى جانب تشجيعه لهما لتبادل المشاعر فيما بينهما.

اتجاه (الدعم ـ الضبط): يجهد المشاور في هذا الاتجاه إلى اعتماد آلية الاستماع الفعال فيشجع الزوجين للتحدث معاً والإفصاح عن معاناتهما وانعكاساتهما الإدراكية والعاطفية إزاء بعض مما يمهد لهما بالتالي التوصل إلى فض القضية فيما بينهما بعد فترة طويلة من المشاجرة والخصام.

الجدير بالذكر أن العلاج السلوكي لا يمكنه أن يكون أفضل مناهج العلاج الأسري لمواجهة جميع المشاكل والصراعات الزوجية بل تتمتع

1.Skinner.

الاتجاهات التي تعتمد التحليل النفسي أيضاً بـمكانة هـامة عـلى هـذا الصعيد. وتؤكد هذه الاتجاهات على الإدراك، التفاهم والتقارب المتبادل بين الزوجين.

الفصل الرابع

العلاج الأسري

العلاج الأسري

المقدمة: لا يعرف علماء النفس وأخصائيو العلاج الأسري العصريون، الأسرة باعتبارها مجموعة من الأعـضاء بـل يـرون أنـها كـالمجموعة العضوية البيولوجية تتمتع بانسجام واتحاد وأنها ـبـاعتبارها وحـدة لا تتجزأ لها بناؤها، قوانينها، وأهدافها ـ تمتاز بفاعلية معينة أي أن الأسرة اليوم توصف على أنها منظومة. فما هي المنظومة؟

يقول المنظر الأسري لين هوفمان[1]: أن أكثر التعاريف شيوعاً للأسرة هو أنها عبارة عن أشخاص يجهدون داخل نـطاق المـنظومة الأسـرية وبملء وجودهم للحفاظ على توازن الأسـرة فـيما يـخص اتـصالاتهم

1.Lynn Hoffman.

وتعاملهم مع بعضهم. وترتبط سلوكيات هؤلاء الأشخاص إزاء بعضهم في إطار علاقة قابلة للاستطلاع فيعمدون بإيجاد التحولات اللازمة إلى إنشاء نمط في ذاتهم يأتي على الأسرة بتوازن ثابت.

إن المفهوم النظامي للأسرة مفهوم رائع لأنه يقدم لنا أسلوب تكوين المفاهيم بما تتخلله من صعوبات. ولنا أن نحسب العالم بأسره مجموعة من المنظومات. وهنالك في عالم المنظومات هذا منظومتان رئيستان: المنظومة الحية والمنظومة غير الحية. والمنظومة غير الحية (مثل المنظومة الشمسية أو منظومة الطقس) هي منظومة لم تفقد «الحياة» بل احتفظت بنشاطها أيضاً فتظهر عنها سلوكيات خاصة بحسب التعبير العام. والسيارات كما نرىٰ في حركة دائمة والطقس في تغير متواصل. ومع هذا هنالك اختلاف فاحش بين هذه المنظومات غير الحية التي تتحدد سلوكياتها عادة بحسب القواعد الفيزيائية وبين المنظومة الحية التي تشكل العمليات المعقدة الواسعة النطاق سلوكياتها.

وتمتاز جميع المنظومات بالنظام وبضرب من التوازن والاستقرار. فللمنظومة الشمسية نظام دقيق كما يمكننا فهم نمط توازنه مع القوى الفيزيائية بوضوح. ومنظومة الطقس كذلك تحافظ على أنماطها الخاصة من التوازن على مر الزمان.

وكذا المنظومات الحية تتمتع بالنظام بفارق في الأساليب، فالاميبيا مثلاً تتمتع بنظام بسيط تجهد من خلاله للحفاظ على سيادتها ووحدويتها في الحياة إزاء العوامل البيئية عند مواجهة الكائنات أو العوامل

الكيمياوية.

وهذه من الخصائص الرائعة للغاية في المنظومات الحية أي أن مكونات هذه المنظومات تغير سلوكها بحسب المعلومات التي تكتسبها من البيئة. وتسمىٰ هذه الآلية «الانعكاس» وهي تمكن المنظومة من تغيير نشاطها، بنائها، واتجاهها في سبيل تحقيق أهدافها.

إذاً هنالك أوجه تشابه بين منظومة الأميبيا البسيطة ومنظومة الأسرة المعقدة. وللأسرة حدود وأطر تتضمن نظاماً يحاول الأعضاء الحفاظ عليه بجد من أجل التوصل إلى التوازن المطلوب في الأسرة.

وأكبر نظام اجتماعي يولد ضغطاً على الأسرة حالياً هو غلاء المعيشة ووضع العالم الاقتصادي، إلى جانب أنظمة مؤثرة أخرىٰ منها نظام العمل، مجموعة أقران الناشئة، الأسرة الواسعة، ودون شك هادفية الأسرة النووية بما فيها من مكونات نظامية تحتويها الأسرة من قبيل: علاقة الأم بالبنت، الأب بالابن والزوجة بالزوج وكذلك تأثير الصراعات ـ السائدة في المجتمع الأكبر ـ في الأسرة.

وبشكل عام تكون أي أسرة مجتمعاً صغيراً يتحكم فيه نظام اجتماعي ذو قوانين، بناء، زعامة، لغة، أسلوب في الحياة، جو عصري وبالطبع قضايا ومشاكل وصراعات خاصة بها.

فاعلية العلاج الأسري

طب النفس الأسري مفهوم ينيف بكثير عن مجرد لقاء أعضاء الأسرة

مع بعضهم. وما يميز العلاج الأسري عن غيره من المناهج العلاجية هو طراز التفكير في طابع الاختلالات العاطفية والاضطرابات السلوكية وأسبابها. إذ يرى المعالج الأسري أنه يتعذر فهم سلوك الفرد والإحاطة به بمعزل عن درك ومعرفة الأجواء التي يتبلور فيها السلوك وللأسرة أكبر وأهم دور في تنامي ونضوج الفرد لأنها تمثل أهم أرضية مؤثرة في سلوك أعضاء الأسرة. ويولي المعالج دور المدرسة وأثر نظامي العمل والمجتمع في سلوك الفرد اهتمامه أيضاً. ويصف المعالج الأسرة بأنها وحدة عاطفية تتشابك فيها سلوكيات وانعكاسات أي فرد مع غيره من أعضاء الأسرة فالمعالجون الأسريون يبحثون عن أسباب المشاكل في حلقة مغلقة من العوامل يؤثر كل منها في الآخر بدلاً من تدارس القضايا في إطار العلة والأثر والعلاقة الخطية.

وتفاعل الأسرة يعني مجموعة لا حصر لها من الاستجابات المتتابعة المترابطة. ويركز المعالج اهتمامه في معرفة الأنماط المكررة التي يتبلور في ظلها السلوك. وعلى هذا لا يستهدف العلاج التوصل إلى سلوك أو حدث نشأ عنه السلوك المنظور فيه بل يبتغي اتخاذ إجراء لتجنب تبلور ذلك النمط السلوكي ثانية. وهذا ما يستوجب أحياناً أن يطلب من جميع أعضاء الأسرة أو بعضهم العمل على تغيير سلوكهم، فقد يحدث تغير جزئي بسيط أثراً متعمقاً في نظام الأسرة، وما يهمنا أن لا ننسىٰ أن النزوع إلى الأنماط السابقة يعزز تلك الأنماط. وعلى هذا لابد من الاحتفاظ بفاعلية أي تغير على مر الزمان حتىٰ يتثبت النمط الجديد بدلاً عن السابق.

تتمسك كافة العوائل بتطبيق القوانين والقواعد والضوابط ويكون بعضها واضحاً مثل موعد النوم، توقعات الزوجين من بعضهما و... وهناك أيضاً قواعد خفية في غاية الفاعلية تلتزمها الأسرة دون أن تفصح عنها قط، كما في: «لا تعرب عن سخطك علانية»، «لابد من أن تكون متكاملاً لتحظىٰ بالقبول» و «لا يحق لك التحدث بشأنه مع أبيك». وتزداد فاعلية وقدرة القواعد على الضبط بازدياد طابعها المستتر. وعلىٰ هذا يكون توجيه الأسر في سياق الإحاطة بأثر هذه القواعد لا سيما في حل الصراعات والخلافات الأسرية، أمراً في غاية الأهمية. وخروج هذه القواعد عن مستوى الوعي يعرض الأشخاص لأذى كبير أو الاكتئاب، في غفلة منهم عن سبب ذلك.

وهناك عملية مماثلة أخرىٰ تشهدها الأسرة أيضاً وهي النعت. وهو عملية حلقوية تتألف عناصرها من سلوك أعضاء الأسرة الذي يوحي وكأن هذه النعوت صحيحة فينعت الطفل بأنه ذكي أو غبي، طيب أو خبيث، عديم الدقة و...، ويبدو أن النعت الايجابي مثل: أنت طيب الأخلاق يحدث أثراً إيجابياً في سلوك الطفل بينما الوضع السائد في أغلب الحالات يخالف ذلك مع الأسف. ولكل ما ينعت به الطفل أثر في نموه ونضجه لأنه يقلص حيز سلوك الطفل، ولهذا يشعر أغلبية «الأطفال الطيبي الخلق» باللا أمان بسبب خوفهم من نبذهم من قبل الآخرين فيما لو ظهرت لديهم مؤشرات عدم التكامل.

العلاقة الثلاثية أو المثلثية: ومن العمليات الأُخرى التي تؤثر تأثيراً

في غاية الأهمية على سلوك أعضاء الأسرة هي تكون العلاقة الثلاثية عندما يحاول شخصان من أعضاء الأسرة، متصارعان أو مبتليان بمشكلة، إسهام شخصٍ ثالث في معاناتهما وتتمخض عن تفاعل هؤلاء الأشخاص الثلاثة أصغر وحدة متجزئة للتفاعل باعتبارها نمطاً سلوكياً فيتكرر سلوكهم هذا إلى مالا نهاية في إطار هذه العلاقة الثلاثية. وعلى سبيل المثال عندما يعاني الأبوان من مشكلة أو نزاع مزمن لم يفض بعد يلعب الابن دوماً دوره كجزء من هذا المثلث فيما يتعلق بهذا النزاع، بعبارة أخرىٰ يتمكن الطفل من تغيير مسار اهتمام أبويه بالإعراب عن غضبه الشديد أو أن يحاول تهدئة أحدهما أو يلتحق بحلقة النقاش الدائر بينهما بتحيزه إلى أحد الجانبين. إن العلاقة الثلاثية عملية طبيعية تماماً تشهدها الأسرة ولا تنتهي إلى سلوك غير سوي أو فاعلية غير صحيحة إلّا عندما تغدو متكررة ومتشددة لا يمكن التغلغل فيها.

وبتعبير آخر يهدف العلاج الأسري إلى توجيه الأفراد للتوصل إلى أساليب جديدة للتعامل مع أعضاء الأسرة بما يكفل زيادة الاستقلال إلى جانب الاحتفاظ بالتعلق العاطفي الشديد بالأسرة. إن التركيز وإن توجه بادئاً إلى شخص واحد يخامره الشعور باليأس أو الفشل إلّا أن عملية التغير تحدث لدىٰ جميع أعضاء الأسرة بعد تغير ذلك الشخص أو غيره من أعضاء الأسرة، الأمر الذي يؤدي لا محالة إلى تغير أنماط التعامل في تلك الأسرة (اوكلان[1]، ١٩٨٩).

1.Oaklawn.

أهداف العلاج النفسي الأسري

تعتبر عملية تحديد الأهداف المرجوة من العلاج الأسري، محاولة علاجية في غاية الأهمية لابد ان تكون هذه الأهداف خاصة جداً وفي غاية الوضوح. ويرىٰ فريمان أنه يمكن تصنيف هذه الأهداف إلى نوعين: أهداف قصيرة الأمد وأهداف طويلة الأمد.

والأهداف الآنية القصيرة الأمد هي الأهداف التي تستجلب الراحة والطمأنينة النسبية لهؤلاء الأفراد، بينما الأهداف الطويلة الأمد هي عبارة عن:

١ ـ تحسين العلاقات.

٢ ـ حيازة التقبل.

٣ ـ الشعور بالهدوء عند إيفاء الدور الخاص بالفرد.

٤ ـ مرونة كل من أعضاء الأسرة عند إيفاء دور الزعامة بحسب الحالة.

٥ ـ تحسين مستوى التعاطف والتفاهم.

٦ ـ تطوير قابلية تقبل التباينات وأخذها بالحسبان عملياً.

٧ ـ تطوير القابليات على حل القضايا فردياً وأسرياً.

٨ ـ الحد من التفاني الزائد والتضحية المغالىٰ فيها.

٩ ـ تحسين مستوى الحساسية إزاء فاعلية الأسرة الداخلية.

١٠ ـ تحسن مستوى الاستقلال والفردية.

١١ ـ تنامي التوازن الفاعل بين استقلال الفرد وتضامنه الجماعي مع الأسرة.

يؤكد جراسر وبول[1] (١٩٦٤) على أهداف خاصة في العلاج الأسري تتضمن: التخيلات وآثارها الخفية، التعاطف، اختبار الواقع، تحمل الإحباط، العلاقات الداخلية والخارجية، وقطع العلاقة نهائياً مع المعالج في خاتمة مسار العلاج الأسري.

والهدف الأساس للعلاج الأسري من وجهة نظر بوين[2] (١٩٦٦) هو تحديد مكانة الفرد في الأسرة بينما تتحدد أهداف المنظومة الأسرية بحسب رأي اسبك[3] (١٩٧٣) بما يلي:

أ ـ تفعيل الإيجابيات.

ب ـ تغيير الانتماءات.

ج ـ تحديد طابع الارتباطات.

ودور المعالج باعتقاد بيل (١٩٧٥) دور ممهد لا محدد لأهداف الأسرة، فالأسرة هي التي تحدد أهدافها وإن اقتضى الأمر يتدخل المعالج

---

1. Grasser and Paul.

2. Bowen.

3. Speck.

على صعيد إعداد الأجواء للقيام بهذه المهمة.

ويتفق رأي الكثير من المعالجين الأسريين مع رأي فريمان (١٩٨٠) حول تعذر فصل الأهداف الفردية (الشخصية) عن الأهداف الأسرية وأنه على المعالجين الأسريين تركيز اهتمامهم على الأهداف الأسرية أكثر من أهدافهم. هنا لابد من فصل المضمون عن العمل. الاحتياجات الأسرية هي ما تستشعره الأسرة ذاتها وعلى المعالج أن يحدد طبيعة التعامل مع تلك الحالات في كل من العوائل إذ تتعهد الأسرة بمسؤولية المضمون والمعالج بمسؤولية العمل.

ويرىٰ (وارنج[1]، ١٩٨٠) أن سوء فاعلية الأزواج والعوائل يعود إلى عجزهم عن حل القضايا أي أنهم يفتقدون مهارات اتخاذ القرارات، التفاعل والإقدام على المدى البعيد، فإطار عمل العلاج الأسري بتعبير آخر يتحدد بمناهج تعليم المهارات التي تجعل العلاج أكثر فاعلية وتكاملاً.

إذاً يتطلب تحقق أهداف العلاج الأسري، أمرين هما:

أ ـ إقدام المعالج على تعليم الزوجين وأعضاء الأسرة مهارات الارتباط. (العمل)

ب ـ ضرورة تركيز الزوجين والأسرة على الحالات التي يتطلبها وضعهم. (المضمون)

---

1. Waring.

وبعبارة أخرىٰ يتعهد المعالجون بمسؤولية تعليم الأسلوب للأسرة والأسرة تتحمل مسؤولية تحديد المبتغيات وهي مهارات ينبغي اكتسابها في مكتب المشاور أو عيادة المعالج بينما يتم التمرين عليها وممارستها في المطبخ، غرفة الاستقبال، على مائدة الطعام و...

عملية حل المشاكل في العلاج الأسري

تنقسم عملية حل المشاكل إلى مرحلتين رئيستين، هما:

المرحلة الأولىٰ من التعامل وتتضمن ثلاث مبادرات أساسية: دراسة الموضوع، الإعراب عن المشاعر المرتبطة به وتدارس طرق الحل المتنوعة.

المرحلة الثانية: المبادرة لحل المشكلة وتشمل أربع خطىٰ هامة: التوافق حول حل المشكلة، ضبط وتقييم حل المشكلة، استمرارية حل المشكلة واللجوء إلى طرق الحل اللاحقة.

ولنا أن نقسم المبادرتين الاوليتين في المرحلة الأولىٰ إلى خمس مبادرات متتالية (غلدا شتاين[1] وآخرون، ١٩٨٢)، هي:

١ ـ مطالبة المعالج (بفتح اللام) بالتحدث عن وضعه.

٢ ـ مطالبة المعالج بالإفصاح عن إدراكه بشأن وضع عضو آخر من

---

1. Goldstein.

أعضاء الأسرة.

٣ ـ الاستفسار عما إذا كان هنالك من يؤيد رأيه حول ظروفه.

٤ ـ الاستماع إلى إجابته بدقة.

٥ ـ التوصل إلى نتيجة نهائية معه.

ولنا أن نضيف على ذلك:

٦ ـ تأييد ودعم اقتراح الجانب الآخر (حول الاستدلال، الايجابيات، والسلبيات).

٧ ـ الاستفسار عن الاقتراحات الأخرىٰ.

٨ ـ دمج الاقتراحات حسبما يرتضي الجانبان.

وجهات نظر مختلفة حول عملية حل المشاكل في العلاج الأسري:

هنالك أنماط متباينة حول اكتساب المهارات الاجتماعية والعلاقة بين الزوجين في سياق فض المشاكل، منها:

يقترح أدلر (١٩٧٧) في سياق التعامل مع المشاكل منهجاً يتبنىٰ أسلوب تفعيل الشهامة:

١ ـ معرفة طابع المشكلة.

٢ ـ التحدث عن المشكلة مع الجانب الآخر باستخدام لفظة (أنا) وعن المضايقات التي تسببها هذه المشكلة للجانب الآخر وإساءة هذه الخبرة

لمشاعره باستخدام لفظة (أنت).

٣ ـ التأكيد حتى التيقن من تفهم الشخص الآخر للمشكلة.

٤ ـ الإدلاء بالاقتراحات والاستعداد لتقبل الاقتراحات الأخرى من قبل الجانب الآخر.

٥ ـ التوصل إلى طرق حل متنوعة تأتي على الجانبين بأفضل المكافآت وأقل النفقات.

٦ ـ التخطيط والبرمجة للجلسة اللاحقة بهدف تقييم مدى تقدم العمل.

ويرسم (الدوس وآخرون[١]، ١٩٧١) عملية حل المشكلة في إطار ستة عوامل مؤثرة في سياق التفاعل مع خصائص الأسرة، وهذه العوامل الستة هي: العمر، الجنس، مواصلة النشاط الجماعي، بناء الارتباطات، بناء العواطف وبناء القدرة.

وتنقسم مراحل حل المشكلة بحسب اقتراح (غلاس[٢] وآخرين، ١٩٧٩) إلى ثلاثة أقسام رئيسة، هي:

١ ـ درك المشكلة والإحاطة بها.

٢ ـ البرمجة للتوصل إلى طريقة حل للمشكلة.

٣ ـ تطبيق طريقة الحل.

---

1. Aldous.

2. Glass.

و (لابت[1]، ١٩٨٦) يصف عملية حل المشكلة في العلاج الأسري على النحو التالي:

١ ـ مواجهة القضية عاطفياً وهياجياً والإعراب عن المشاعر المتعلقة بها.

٢ ـ مواجهة القضية منطقياً وعقلانياً للكشف عن طرق مواجهتها والتركيز على طريقة يؤيدها الجانبان.

٣ ـ النشاطات بما فيها الأقوال والأفعال المتفق عليها.

٤ ـ اتخاذ القرار على صعيد تثبيت الاتجاه أو تغييره.

واسكانزوني وآخرون (١٩٨٠) يأخذون لهذه العملية نمطاً ذا ثلاثة جوانب بنظر الاعتبار. وهذه الجوانب هي:

١ ـ دراسة المتحولات الاجتماعية الأربعة التالية:

أ ـ العوامل المؤقتة والشعبية.

ب ـ المصادر مثل: التعليم والتربية، المكانة الاجتماعية، القابليات، المهارات الفنية وغيرها.

ج ـ الاتجاه نحو نيل القدرة، مثل: الإباء، تفوق الدور الجنسي الخاص، أهمية المواضيع المطروحة وتبعاتها.

---

1. Labate.

د ـ الاتجاه نحو نيل التعاون، الثقة، الانصاف بأساليب فردية بغية تحسين مستوى الفهم والإحاطة بالأمور ونمط الارتباط والتمكن من التغاضي عن الأحداث السابقة.

٢ ـ عملية العلاج وتتضمن جلسة واحدة أو جلسات متتالية أو مجموعة من الجلسات المتغيرة.

٣ ـ التبعات وهي النتائج الناجمة عن العلاج سواء المتفق عليها أو غير المتفق عليها.

وتصنف مراحل حل المشاكل في العلاج الأسري حسبما ارتآها اسبيفاك[1] وآخرون (١٩٧٦) على النحو التالي:

١ ـ طرح المشكلة.

٢ ـ تحديد معالم المشكلة بوضوح.

٣ ـ تحديد طرق الحل المختلفة.

٤ ـ التباحث حول إمكانية تطبيق هذه الطرائق عملياً.

٥ ـ إيفاء الدور في إطار طريقة الحل المتفق عليها.

والجدول التالي يلخص أنماط عملية حل المشكلة في العلاج الأسري:

---

1. Spivack.

المراحل

المصادر	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
أدلر ١٩٧٧	معرفة طابع المشكلة	طرح المشكلة	الإدلاء بالاقتراح وتقبل الاقتراحات الأخرى	انتقاء الطرق المتفق عليها	—	التقييم	—
الدوس ١٩٦١	معرفة المشكلة وتعريفها	تجميع المعلومات	تحديد طرق الحل المختلفة	اتخاذ القرار حول طرق الحل	المبادرة العملية	تقييم المبادرات المتخذة	—
غلاس و آخرون ١٩٧٩	معرفة المشكلة	—	البرمجة في إطار الحل	—	تنفيذ طريقة الحل	—	—
لابت ١٩٨٦	مواجهة القضية عاطفياً وهياجياً والاعراب عن المشاعر المتعلقة بها	—	المواجهة العقلانية والمنطقية للكشف عن طرق مواجهة المشكلة والتركيز على طريقة يؤيدها الجانبان	—	—	—	—
اسكانزوني و آخرون ١٩٨٠	دراسة التحولات الاجتماعية للمشكلة	—	عمليات التعامل مع المشكلة	—	—	—	—
اسيفاك وَ آخرون ١٩٧٦	طرح المشكلة	تحديد معالم المشكلة بوضوح	تحديد طرق الحل	التباحث حول امكانية التطبيق العملي	إيفاء الدور في إطار طريقة الحل المتفق عليها	—	—

نظريات العلاج الأسري

نظرية العلاج الإدراكي (المعرفي):

حققت نظرية العلاج الإدراكي في العقود الأخيرة نجاحاً كبيراً بين النظريات المتنوعة لا في مضمار البحث والتوصل إلى معطيات تحقيقية فقط بل من حيث فاعليتها في الحالات المختلفة. وهذه العوامل لعبت دوراً حاسماً في فوز هذه النظرية بالوجاهة العامة لدى الاخصائيين والناس. والسبب الأساس لهذا النجاح يكمن في أسلوبها في التعامل مع المشاكل الفردية وعلاجها حيث تتقلص إلى حد كبير الاحتمالات الوخيمة المترتبة عليها عما هي عليه في مختلف أنواع الطب النفسي الأخرى. وهي إضافة إلى ذلك تعلم المعالجين وبسهولة دمج المنهج الإدراكي ـ السلوكي في التقنيات العلاجية.

لا تعتبر نظرية العلاج الإدراكي نظرية حديثة في مجال الطب النفسي لأن ارتباط الإنسان مع الآخرين واستجاباته إزاءهم يعتمد دوماً على المشاهدة، التحليل والتقييم (بك ١٩٧٦، أليس ١٩٥٧ و ١٩٦٢).

النظرية العاطفية ـ العقلانية:

يواجه المشاورون خلال المشاورة شعور أحد الزوجين بالضيق

والنغص وأثر ذلك في الزوج الآخر. ولهذا تكون أحزان الزوجين في أغلب الأحيان أكبر من مجموعها لدى الجانبين. وعلى هذا تتبع المشاورة العاطفية ـ العقلانية وجهة نظر تعاملية مبنية على النظام الخطي.

وتنص النظرية النظامية (سيأتي ذكرها لاحقاً) على أن المشاكل الفردية، أو جزءاً منها على الأقل، إنما تظهر في الأجواء الأسرية. ويرى العلاج العاطفي ـ العقلاني كذلك أن العواطف، السلوكيات وأفكار شريك الحياة هي وقائع فاعلة ومؤثرة في المشاكل الزوجية. بناء على هذا، يتوجب المبادرة إلى تغيير الذات ثم إعادة تنظيم بيئة النظام الأسري فيما لو ارتأينا الحد من المضايقات السلوكية والعاطفية التي تؤلمنا.

ولنا تعريف النظرية العاطفية ـ العقلانية في إطار النمط (A B C). إن الوقائع المثيرة في حياة الفرد (لا سيما الفشل والمنبوذية) تتسبب في عرقلة نيله لأهدافه وطموحاته (A). والمشاكل العاطفية والسلوكية مثل الاضطراب وتجنب الفشل إنما تحتسب التبعات الناجمة عن الوضع القبلي (C). ومع أن الناس يؤمنون بأن الأحداث المؤلمة (A) تتسبب في نشوء المنغصات (C) إلّا أن هذه النظرية تؤكد بأن النتائج والتبعات الناشئة لا تمثل سوى فاعلية آراء وأفكار الناس حول الأحداث (B).

A: الأحداث المؤلمة (مثل الفشل، الإحباط، المنبوذية و..).

B: نظام أفكار الشخص حول (A).

C: التبعات السلوكية والعاطفية (أعراض شعور الفرد بالضيق).

ويمكن تصنيف (A B C) في الحياة الزوجية إلى نوعين: الأفكار المنطقية والأفكار غير المنطقية والتبعات الناشئة عنهما.

A_1: الحدث أو الواقع المؤلم، مثل: عدم تمكين الزوجة للزوج.

B_1: الفكر المنطقي، مثل: «حبذا لو تمكنني من نفسها وتخلص حياة كلينا من المرارة لنحيا حياة أكثر هناء إلى جانب بعضنا».

C_1: التبعات المناسبة والمطلوبة، مثل: الزوج يشعر بالأذىٰ لكنه لا ينفعل أو يقنط بل يجهد لإقامة علاقة أفضل مع زوجته.

A_2: الحدث أو الواقع المؤلم: عدم تمكين الزوجة للزوج.

B_2: الفكر غير المنطقي: يجب عليها أن تمكنني من نفسها، لا أطيقها، إنها زوجة متمردة وإنسان غير ذي قيمة.

C_2: التبعات غير المناسبة وغير المطلوبة: شعور الزوج بالانفعال واليأس والامتعاض وانقطاع العلاقة بين الزوجين لأمد طويل.

إن تبعات الحدث أو الواقع لا يحددها، كما تبين، السلوك بل نظام أفكار المرء حول ذلك الحدث أو الواقع. وعلى هذا ينبغي عند توجيه الزوجين خلال المشاورة العمل على تغيير أسلوب التفكير لديهما بدلاً من تغيير سلوكهما وهذا ما جعل النظرية العقلانية ـ العاطفية تعتمد عند مشاورة الزوجين اتجاهاً خطياً يؤكد على معرفة الأفكار غير المنطقية لدى الزوجين والعمل على تغييرها.

إن التوجه للمشاورة مع المعالج الأسري يمكّن الزوجين من تعلم

أسلوب تغيير نظام أفكارهما بغية تحقق التحول المطلوب في حياتهما.

ونجمل الحديث بأنه يسعنا أن نتنبه لأثر المناهج الإدراكية في مذاهب الطب النفسي المتنوعة. ويمكن اللجوء إلى العناصر الإدراكية خلال مختلف أنواع المشاورات الأسرية لتحقيق فاعلية أكبر من العلاج. أي أن يدمج المعالج المناهج العقلانية ـ العاطفية في أطره غير الإدراكية.

لا يعتمد المنهج العاطفي ـ العقلاني من العلاج الأسري أسلوب العمل الإدراكي المحض بل أنه يتبع الطابع العاطفي ـ العقلاني بشكل عجيب إذ تستند هذه النظرية إلى العلاقة بين العوامل الإدراكية والعاطفية وتلجأ إلى كافة الفنون الشفاهية وغير الشفاهية والعملية. ويؤكد رأي ماهوني[١] (١٩٨٨) على أن لمختلف العواطف ومشاعر الهياج الشديدة (بغض النظر عن حدتها) آثاراً غير منتظمة على السلوك. يتم خلال هذا الأسلوب العلاجي توجيه الأشخاص للشعور بالقدرة أكثر بكثير مما كانوا يستشعرونه عند بداية إقبالهم على المشاورة، فالغاية المستهدفة لا تقتصر على مغالبة الهياجات المخربة بل تعزيز وإغناء شعور الأفراد بالتوحد وتحقيق الذات.

نظرية التحليل النفسي:

تختلف هذه النظرية اختلافاً كبيراً عن النظرية العاطفية ـ العقلانية

---

1. Mahoney.

وكذلك عن النظرية الإدراكية ـ السلوكية. وكلتا النظريتين تؤكدان على الإدراك باعتباره من العوامل المهمة في تبلور المشاعر المؤلمة لدى الإنسان.

عند دراسة تاريخ النظرية العقلانية ـ العاطفية، نجد أن «أليس» حامل لواء هذه النظرية، قد تأثر بكل من أدلر وهورني (من أتباع مدرسة فرويد). وكان يعمد إلى إيجاد التحولات المطلوبة في الأفكار غير المنطقية عند تحسن حالة مراجعي مدرسة التحليل النفسي تحسناً مشهوداً، وبعبارة أخرىٰ يتدخل المحلل النفسي بشكل غير مباشر (خلافاً للأسلوب المباشر المتبع في العلاج العاطفي ـ العقلاني) بعد تحقيقه النجاح في المراحل البدائية من عمله مع المعالج، فيعمل على حثه لإيجاد التحولات الإدراكية المطلوبة.

ومفهوم التنفيس[1] النفسي في التحليل النفسي يعني: تفريغ وإطلاق الأفكار والمشاعر والعواطف وبالتالي إعادة صياغتها بشكل أفضل ومن ثم الاستعاضة عن الأفكار غير المنطقية بمعتقدات وأفكار منطقية.

النظرية النظامية:

يواجه المعالجون النظاميون عند المشاورة مع الزوجين مشاكل وصعاباً بنائية عديدة، ولهذا يجهدون في إعادة تنظيم منظومتيهما

1. Abreaction.

الفاعلتين (سالفاتور مينوتشين).

ورغم تأييدهم المناهج السلوكية إلّا أنهم يلجأون ضمنياً إلى المناهج الإدراكية أيضاً. وقد يعمدون إلى استخدامها إلى جانب الاتجاهات السلوكية.

فالزوجان يواجهان عادة المشاكل مثلاً عندما تتشعب القدرة خلال علاقة ما إلى جانبين أو تتطرف نحو جانب واحد في داخل منظومة الأسرة أي عندما يتسلط أحد الأعضاء بشكل مغالىً فيه على الأسرة أو يضطر أحدهم إلى الخضوع أكثر من الحد المعقول. وتتثبت هذه الأدوار المتقاطعة (نوعاً ما) عندما يشعر أحد الأعضاء بحسب نظام قيمه وأفكاره، بتفوق دوره أو ضحالته في علاقاته مع الآخرين.

ومن شأن القيم الأسرية والتوقعات الثقافية كذلك أن تحدث في بعض الأحيان نظاماً غير منتظم في الحياة الأسرية.

ويتعامل المعالجون النظاميون مع هذه الأفكار مباشرة إذ تلجأ النظرية النظامية لإعادة تعريف وصياغة مشاكل الزوجين فيتم التعبير عنها بأنها «مشاكل يمكن استيعابها ودركها» بدلاً من وصفها بمشاكل «حمقاء» و «مؤلمة» فيتمثل دور المعالج بتوجيه المراجعين لتحليل الأحداث المؤلمة في حياتهم.

نظرية العلاج السلوكي:

يعتمد العلاج السلوكي المناهج الإدراكية في سبيل التمهيد لتغيير

السلوك، فعلىٰ سبيل المثال:

نادراً ما يقضي الزوجان وقتهما معاً وبالتالي يرى المحلل السلوكي أنهما يتبادلان النزر القليل من المعززات، وقلما يعتبر كل منهما الآخر مصدراً ولا يخفىٰ أنهما يعيشان حياة مستقلة عن بعضهما.

فكيف يا ترىٰ يتمكن المعالج من توجيههما؟ ينصحهما بأن ينجزا نشاطات ملذة إلى جانب بعضهما وأن يستشعرا حناناً ودفأً أكبر من خلال علاقاتهما معاً. وقد تكمن المشكلة في أنهما يعجزان عن إقامة مثل هذه العلاقة أو أنهما لا يدركان ضرورة ذلك. وهذا ما يحرم مثل هذين الزوجين من الانتفاع بشكل كامل من أساليب العلاج السلوكي إذ تحول أفكارهم غير المنطقية وانحرافهم الإدراكي دون تغيير وضعهما. وتنتهي هذه الأفكار بالمشاعر السيئة والحزينة وباتساع الهوة بينهما.

تقوم الاتجاهات السلوكية في الأسرة بشكل عام على المبادئ الأساسية لنظرية التعلم. وطابع العلاج السلوكي هو عبارة عن اصلاح الوقائع السابقة بغية إحداث التغييرات المتوخاة في تلك السلوكيات، إذ تعتبر الأساليب السلوكية من أنسب الطرق المتبعة لاصلاح أساليب التعامل بينهما وهذا ما يوسع نطاق فاعليتهما في العلاج الأسري حيث تكون أغلب المشاكل موضوع البحث فيه ناشئة عن التفاعلات السلوكية بين الزوجين أو سائر أعضاء الأسرة وهذا ما يعزز عادة أي سلوك أو مؤشر سلوكي يحظىٰ بالاهتمام بينما يضعف ذلك المؤشر أو يختفي عند

تعرضه للإهمال. إضافة إلى ذلك يمكن الحد من المشكلة القائمة بتحريف انتباه الفرد نحو سلوك آخر وموضوع مغاير أيضاً كالتحدث عن بقية أعضاء الأسرة.

إن الاجراءات السلوكية تساعد عادة على إعادة تنظيم الأسرة، أي أن المعالج في الواقع يلقن أعضاء الأسرة نمطاً فاعلاً أكثر سلامة وطرق حل أكثر فاعلية لمواجهة المشاكل بتوجيههم نحو أسلوب التعامل مع مشكلة ما وبهذا تتعلم العوائل، بمساعدة المعالج الأسري، أساليب سلوكية خاصة لحل مشكلة أو عدة مشاكل، وبالتالي تكتسب القدرة على اتخاذ أساليب مناسبة لمواجهة سائر مشاكلهم في الحياة الزوجية دون معونة المعالج.

نظرية «التركيز على المراجع (الزبون)»:

يتخذ بعض المشاورين الأسريين أدواراً أكثر تجاوباً خلال عملية المشاورة، فالمعالجون الذين يفضلون استيعاب أقوال، ذهنيات وعواطف مراجعيهم يقتبسون باحتمال قوي أفكارهم غير المنطقية وتحليلاتهم الإدراكية أيضاً. فمثل هذا المشاور يردد في نفسه: «يبدو أنك بحاجة إلى تفهم أكبر من قبل الزوج»، وغالباً ما يردد المعالجون المركزون على المراجع وكذلك من ذوي الاتجاه العقلاني ـ العاطفي مثل هذه العبارات. إن الشرط الهام لاتخاذ هذا المنهج العلاجي هو توفر أجواء علاجية مناسبة باعتماد منهج حميم ودافئ يتسم بالتقبل.

نظريات العلاج الأسري الأخرى

السبرانية[١]

السبرانية اصطلاح أطلقه فاينر[٢] (١٩٤٨) على نظرية وصف بها المنظومات المنتظمة الفاعلة بوسيلة حلقات الانعكاس. وهذا المسار يتضمن مستقبِلاً، آلية مركزية ومنفذاً، فتتكون من تفاعلها وانضمامها إلى بعض حلقة انعكاسية. وتناظر فاعلية هذه العملية فاعلية نظام تدفئة مركزي يتحكم به ترموستات ويتمكن من الحفاظ على ثبات واستمرارية النظام عن طريق إيجاد التوازن الحيوي فيه.

ويرى العلاج الأسري عند مواجهة الكثير من المشاكل الأسرية، إمكانية توجيه هذه العوائل باعتماد مبدأ التوازن الحيوي وآليته. وقد يكون الانعكاس إيجابياً أو سلبياً. والانعكاس الايجابي يكون فاعلاً عادة في نطاق عملي خاص ويتخذ الطابع المشجع بينما يتحدد دور الانعكاس السلبي ببعض بقع النطاق وله دور مثبط. وتتأثر هذه العملية بنظرية «الضبط» وهي أحد أنواع السبرانية. ومثال على ذلك الزوجان اللذان يشعران بغضب شديد إزاء بعضهما والذي يصل الذروة في النهاية ويتوقف بنزاع وأذى جسمي، ولهذا التحول في العلاقة فيما بينهما علاقة بتغير منظومة الضبط.

١ـCybernetic أي علم الضبط ويطلق عليه كذلك السبرنطيقا.

2. Weiner.

نظرية الارتباطات:

من المواضيع التي يرغب فيها المشاورون الأسريون هو عملية الارتباط بين أعضاء الأسرة. وقد عرّف كتّاب مثل باول، جانت بوين وجكسون (١٩٦٧) الارتباطات الإنسانية من نواح ثلاث: التركيب، المعاني والأعمال.

التركيب: وهي مجموعة قواعد لغتنا التي نستخدمها للتعبير عن رأينا من خلال تكوين العبارات باستخدام الكلمات والألفاظ.

المعاني: أي مدلول ومفهوم الألفاظ وترتبط بمدىٰ وطراز اللغة ومجال استخدامها. والكثير من العوائل تستخدم في نظمها الارتباطية لغة خاصة قد يأتي فهمها والإحاطة بها على المشاور بفائدة كبيرة.

الأعمال: وتشمل السلوكيات اللفظية وغير اللفظية ودراسة الآثار السلوكية للارتباط.

خصائص الارتباط:

يبسط أخصائيو العلاج الأسري المبادئ المتحكمة بالخصائص الارتباطية في الأسرة على النحو التالي:

عندما يواجه شخص ما شخصاً آخر يحمل له نداء يظهر لديه سلوك معين ويقيم مع الجانب الآخر ارتباطاً لا بمعنى مجرد التحدث بل يشمل: الحركات والمظاهر الحركية، الحالات، ايقاع الصوت و... أيضاً. وهذا ما يجعل انعدام الارتباط مع الآخرين أمراً متعذراً.

ـ الارتباط يتضمن كلاً من «المضمون»، و «نمط العلاقة». على هذا لا يقتصر الارتباط على الإدلاء بالمعلومات ونقلها إلى الآخرين بل يتضمن كذلك العلاقات السائدة بين الأفراد.

ـ إن أي ارتباط بين شخصين أو مجموعتين قد يكون مع فارق في الدرجة قرينياً (أي يتمتع طرفاه بظروف متكافئة مثل الزوجة والزوج) أو تكميلياً (لا يتكافأ فيها الطرفان مثل علاقة الطبيب بالمريض).

وبشكل عام تعرف وجهة نظر هيلي[١] (١٩٦٣) الارتباط على أنه: «عندما يحمل شخص نداء لآخر فإنه يقدم في الواقع على تعريف علاقة ما». نستنتج مما سلف أن الارتباط يشمل اللفظي وغير اللفظي والمضمون ونمط العلاقة، وأن فهم طابع هذا الارتباط لاسيما بين الزوجين يعتبر طريق حل للكثير من المشاكل بينهما.

العلاج باجتماع الشبكة[٢]

العلاج باجتماع الشبكة هو عبارة عن دعوة جميع أعضاء الأسرة، الأصدقاء وجميع الشخصيات المهمة ـ الذين يمثلون في الواقع الشبكة الأسرية ـ للاجتماع. ويصف اسبيك[٣] (١٩٧٨) هذا الاتجاه على النحو التالي: إن حضور الشخصيات الهامة في حياة الفرد أو الزوجين في

1. Haley.
2. Network Therapy.
3. Speck.

الاجتماع يمتاز بالأهمية من حيث أن حضور الجميع يمنع الأفراد من إلقاء اللوم على عاتق الآخرين. ولا تخفىٰ صعوبة اجتماع ما يقارب الثلاثين شخصاً من الشبكة الأسرية من أجل دراسة المشكلة والتوصل إلى طريقة لمعالجتها. وإن كان حضور هؤلاء الأشخاص يؤدي إلى توصل العملية العلاجية إلى نتيجة أكثر فاعلية.

والعلاج باجتماع الشبكة طريقة هادفة لضبط المشاكل في النظم الخارجة عن العلاج الأسري المتأطر بحدود الأسرة النووية. يشرح مينوتشين (١٩٧٤) نزعته البنائية بأن المعالج لابد له من «تدارس بيئة الحياة الأسرية وتحليل مصادر الدعم والانفعال النفسي في البيئة الأسرية». لا تعتبر الأطر الأسرية حدوداً منيعة لا يمكن تغلغلها فكل ما يحدث خارج نطاقها يؤثر في فاعليتها دون ريب سواء بما ينجم عنه التحسن والتسهيل أو الهدم.

الاستنتاج

من شأن العلاج الأسري أن يتبع نظريات، أساليب وفنوناً متنوعة. ومن المسلم به أن الاتجاه العلاجي أمر يختاره المعالج بحسب نوع وطابع المشكلة العائلية. فنمط الاتجاه النظري وعمل المشاور الأسري والأساليب المتبعة من قبله ترتبط ارتباطاً كبيراً بشخصية المشاور وكذلك بمعلوماته إلى حد ما. فشخصية بعض المعالجين أكثر تناسباً لاستخدام أنواع خاصة من الاتجاهات العلاجية مقارنة مع سائر الأساليب الأخرىٰ، فقد يفقد ما يتمتع بأثر شديد في الكثير من العوائل المتوسطة الحال

اقتصادياً. فاعليته في بعض العوائل ذات المستويات الاقتصادية ـ الاجتماعية المتباينة. فالرؤية الانتقائية تتمتع بفاعلية كبيرة في العلاج الأسري وهذا ما يقتضي أن يجهد المعالج دوماً لزيادة مهاراته وتنقية فنونه العلاجية حتى يؤسس نهجه وفلسفته العلاجية ويتخذ نظرية منسجمة المعالم ويتوصل إلىٰ أساليب عملية لعلاج الأسر.

المبادئ السائدة في النظرية النظامية

أحدثت النظرية النظامية الأسرية تحولاً مدهشاً في العلاج الأسري وإن كان تاريخه لا يتجاوز ٣٥ عاماً. تنص هذه النظرية على أن كلاً من أعضاء الأسرة يتعهد بدوره في الحياة داخل مجموعة المنظومة الأسرية. أي بعبارة أخرىٰ يحتسب هذا النمط الأسرة منظومة وكلاً من أعضائها مؤشراً للصدأ النفسي الذي تعاني منه الأسرة. والمنظومة الأسرية كسائر الأنظمة ترتبط مع غيرها من المنظومات عن طريق عملية الانعكاس إذ تتكفل حلقات الانعكاس باستمرارية فاعلية المنظومة.

وتسود النظرية النظامية للأسرة مبادئ نشير إلى بعض منها هنا (برادشاو[1]، ١٩٩٠):

١ ـ الكلّيّة: المبدأ الأول هو اهتمام هذه النظرية بالشمولية والكلية، فالكل أكبر حجماً بحسب هذه النظرية من مجموعة الأجزاء المكونة له والمنظومة الأسرية تنشأ عن اندفاعات أعضائها المتبادلة دون أن تخضع

1. Bradshaw.

هذه الاندفاعات لنظام معين.

٢ـ العلاقة: يعتبر الارتباط والعلاقة ثاني خصائص النظرية النظامية، فالأسرة كأي منظومة أخرىٰ تتكون من أجزاء ما. وأهمها في المنظومة الأسرية: الأب والأم والأبناء. ويتحدد نوع الأسرة بحسب نمط العلاقة بين هذه العناصر ويتمتع كل من أعضاء المنظومة الأسرية بشخصية فردية خاصة به تفي دوراً في كل المنظومة حيث يعتبر كل من أعضائها فرداً ومجموعة في الوقت نفسه؛ أي أن أياً من الأعضاء يحمل مع نفسه وفي ذاته مجموعة من الحقائق الخاصة بالأسرة. ويتعين واقع كل فرد بحسب نمط ارتباطه مع بقية أعضاء المنظومة الأسرية. وقد تكون المنظومة الأسرية مغلقة أو مفتوحة مرنة:

أ ـ المنظومات المغلقة: وتتطبع فيها ارتباطات البناءات والعلاقات الثابتة بانعدام المرونة. ولفهم واستيعاب نوع وطابع هذه العلاقات أهمية فائقة في سياق دراسة القضايا الأسرية (القضايا المالية والجنسية وشؤون الأبناء و..). وعمليات الانعكاس في المنظومات المغلقة سلبية، فتحتفظ الأسرة بهيكليتها السابقة دونما تغيير ويتم كذلك الحفاظ على الانعكاسات في الأسرة عن طريق القواعد السائدة في المنظومة الأسرية (سواء الجلية منها أو الخفية). ويقتفي الأبوان في مثل هذه العوائل أثر أبويهما ويقتبسان ما كان من قوانينهما وبهذا يعمدان لتربية أبنائهما كما تربيا على يد أبويهما وتتوارث الأجيال هذا النمط جيلاً بعد جيل.

ب ـ المنظومات الأسرية المفتوحة: وتتطبع هذه المنظومات بهيكليات

وعلاقات مرنة تماماً وبعمليات انعكاس ايجابية. وقد يتعرض الوضع الثابت في مثل هذه المنظومات الى التغيير. وقد يعمل الانعكاس الايجابي على مكافحة القوانين السيئة في الأسرة، الجلية منها والخفية وتؤلف الانعكاسات الايجابية منظومة الأفكار الجديدة التي تحل محل السلوكيات غير المستساغة.

٣ـ قوانين الأسرة: لا يعود الإحباط في المنظومات الأسرية في الكثير من الحالات إلى انضمام أعضاء سيئين غير أسوياء إليها بل لاتباعها قوانين سلوكية تكونها حلقات معلوماتية خاطئة تفرز انعكاسات غير مناسبة. وهنالك مجموعة كبيرة من القوانين السائدة في العوائل، منها القوانين: المالية: التعليمية، الصحية، الاجتماعية و..

٤ـ توفير احتياجات الأسرة: للأسرة كغيرها من المنظومات الاجتماعية احتياجات أولية، فعلى الصعيدين النفسي والاجتماعي يمكننا الإشارة إلى الحاجة إلى الشعور بالقيمة، الضمان الفيزيائي، التجمع، الانتماء، الشعور بالمسؤولية، الحاجة إلى الدوافع ودعم الآخرين، الحاجة إلى السرور، الحاجة إلى النجاح وغيرها من الاحتياجات المعنوية الأولية. والأسرة بحاجة كذلك إلى أب وأم ملتزمين بإقامة علاقات سوية مع بعضهما وقادرين علىٰ إعداد أجواء أسرية تتصف بدرجة من الأمان تتوفر للأبناء في ظلها الأرضية للتنامي والنضوج بعيداً عن الخوف والضلال والتلوث، إذ تتسم الأدوار في منظومات الحياة القويمة بالسواء. ويتأسى الأبناء بأسلوب الأبوين في

التصرف كما قد يقتفون أثر الأبوين في الحالات التالية:

- نمط أداء دور المرأة والرجل.
- نمط أداء دور الزوجة أو الزوج.
- نمط أداء دور الأب أو الأم.
- نمط إقامة العلاقات الحميمة مع الآخرين.
- نمط النجاح في الحياة.
- نمط الإحاطة بالحدود في الحياة.

وبعبارة موجزة تتطبع الأدوار في المنظومات الأسرية السوية بالمرونة والحركة فيها تتسم بالهوادة، وتبادل الآراء والعلاقات بين الأشخاص يتم بأسلوب هادئ ومستساغ.

قوة جاذبية الأسرة: تتمتع المنظومة الأسرية بخصائص تؤدي معرفتها في الطب النفسي خدمة سديدة في سياق معالجة المشاكل الأسرية. فالاندفاعات التي يتبادلها كل من الزوجين مع الآخر أو مع الأبناء يفرز عنها تكون قوة الجاذبية أو الاستقطاب الجماعي في المنظومة الأسرية ويتخذ هذا الاستقطاب مساراً غير سوي وغير مطلوب في المنظومات الأسرية الفاشلة.

دورة الجاذبية أو الاستقطاب في الأسرة: يستوحي كل شخص من قوة الجاذبية الأسرية المشاعر والعواطف ويتخذ قراره بشأن المشاعر

المسموح بها في الأسرة. وتتبع المنظومات الأسرية أسلوب حلقات الانعكاس؛ فبينما لا تلقي أي منظومة أسرية اللوم على أي من الأعضاء بشكل خاص، يعتبر جميعهم مسؤولين ولا تستند المنظومات الأسرية إلى أي من النعوت، مثل عليل أو مريض نفسي، ولا يتعرض أحد فيها إلى العتاب والتنكيل لأن المشاكل لا تنجم عن اختلال النظام النفسي لعضو ما أو لبعض الأعضاء بل الأسرة ككل هي مريضة وفي هذه الحالة المرضية يتصرف الفرد بشكل ينم عن المرض.

وتتغير قوة جاذبية المنظومة الأسرية المفتوحة بتأثير من الخيارات المرنة وهي من خصائص البيئة السوية التي تنعم بها الحياة الزوجية في الوقت الذي تفقد قوة الجذب في المنظومة الأسرية المغلقة انعطافها ومرونتها. وبالتالي يكون من شأن كل من أعضاء الأسرة أن يخلق مشكلة جديدة بسلوكه.ترى النظرية النظامية للأسرة أن التربية غير السوية تنتقل من جيل إلى جيل آخر لأن الأسرة هي مجموعة من الانشعابات الثقافية التربوية التي تتألف منها البناءات الاجتماعية.

تقييم الأسرة

يشرح الأخصائيون والعاملون في سلك العلاج الأسري عملية تقييم الأسرة كما يلي: تتضمن هذه العملية طرح المشكلة، بناء الأسرة، القضايا في الأسرة، أساليب تقصي المعلومات وجمعها من أحد أعضاء الأسرة. وتساعد الاستفسارات التالية المعالج في التعرف على الأسرة ومن ثم

تقييمها:

طرح القضية:

ـ ما هو دور بقية أعضاء الأسرة في تبلور مشكلة المراجع وتعزيزها؟ وأي من تصرفاتهم قد أعدت الأرضية لاستفحال المشكلة؟

ـ هل يذكر المراجع مشكلة يعجز عضو آخر من أعضاء الأسرة عن التحدث عنها؟

ـ ما هو أثر معالجة مشكلة المراجع في الأسرة، وفي العلاقات السائدة فيها؟

ـ هل ترتبط الأعراض السلوكية البادية في المراجع بالتحولات الطارئة داخل المنظومة الأسرية؟ وما هي الأحداث التي شهدتها الأسرة الواسعة؟ وهل طرأ أي تغيير أو تحول في حياة أبناء الأسر؟

بناء الأسرة:

ـ ما هو أفضل نمط أسري في التعامل؟ أي من أعضاء الأسرة سيتخذ موقفاً أكثر نشاطاً وأيهم سيكون أكثر تجاوباً؟ كيف تتألف المجاميع الاتحادية داخل الأسرة؟ أي العوائل تنعم بثبات أكبر وأيها يكون أكثر عرضة للتحولات؟

ـ ما هو مدىٰ تزمت منظومة الأسرة وعدم مرونتها؟ وهل تعرض بناء الأسرة الى تحولات اقتضتها تلبية الاحتياجات وتغير سلوكيات المراجع؟ وهل يسع الأسرة أن تلجأ إلى الأساليب الجديدة في التعامل؟

ـ ما هو نمط علاقة الأسرة بالمنظومات الأكبر؟ وهل ترتبط الأسرة النووية بعلاقات وثيقة مع الأسرة الواسعة؟ وهل تتمتع الأسرة بأصدقاء حميمين؟ وهل تساهم الأسرة في الطقوس الدينية والمراسيم الوطنية؟

ـ هل هنالك شخص آخر يرتبط، على الصعيد العاطفي، ارتباطاً وثيقاً بالأسرة؟ (مثل الجد، الجدة، الأقارب، الأصدقاء و...).

قضايا الأسرة النفسية:

ـ ما هي المشاعر التي يتم الإفصاح عنها بسهولة في الأسرة؟

ـ ما هي المشاعر التي تمنع الأسرة أعضاءها عن الإعراب عنها؟

ـ كيف يتم الإعراب عن هواجس وصراعات بقية أعضاء الأسرة؟ وما هو نمط تعاملهم مع هواجس وصراعات المراجع؟

ـ هل يعاني بقية أعضاء الأسرة من الأمور التي تستنكرها شخصية المراجع؟

ـ هل تظهر ملامح الانحرافات الانتقالية في نظرة بعض أعضاء الأسرة إلى البقية؟

أساليب تقصي المعلومات

الاستطلاع العام

ـ السؤال عن العبارات الخفية العامة في وصف سلوكيات معينة.

ـ الاستفسار من المراجِع عن طرق الحل المتبعة لمعالجة المشاكل.

ـ إرغام المراجع على أداء دور أعضاء الأسرة.

تقصي المعلومات عن المنظومة الأكبر

ـ الاستفسار عن التحولات التي شهدها أعضاء الأسرة والأسرة الواسعة.

ـ طرح استفسارات متتالية تستهدف المقارنة.

ـ الاستفسار من المراجع عن نمط ردود فعل وانعكاسات أعضاء الأسرة إزاء سلوكه وتصرفاته غير السوية.

دراسة الجوانب البنائية في الأسرة:

ـ أي الأعضاء يتمتع بعلاقات حميمة مع عضو آخر من أعضاء الأسرة؟

ـ إعداد تقرير عن تفاصيل البرنامج اليومي للأسرة، العمل الذي يؤديه كل من أعضاء الأسرة ازاء عضو آخر والزمن الذي يبادر فيه لمثل هذا العمل.

من شأن المعايير المأخوذة بنظر الاعتبار في هذه المجموعة أن تقيّم الأسرة من الناحية السلوكية. ونتاج هذا التقييم يعين المعالج أو المشاور الأسري على التوصل الى تعريف شامل لمشكلة المراجع ليبادر من ثم إلى تقصي المعلومات اللازمة لمعالجة المشكلة.

أزمات الأسرة وطرق مواجهتها

تعريف الأزمة: أزمات الأسرة هي ظروف غير متوقعة تتعرض لها حياة الأسرة مثل الاطلاع على إصابة أحد أعضاء الأسرة بمرض عضال، التعرض الفجائي لحادث اصطدام، الوفاة وما إليها. وتسمىٰ هذه الظروف ظروفاً انفعالية والأسرة المتعرضة لها أسرة متأزمة.

وتقسم أساليب مواجهة الأزمات من وجهة نظر فيغلي[1] (١٩٨٩) إلى الضربين التاليين:

أ ـ الأساليب السوية لمواجهة الأزمات:

يرىٰ فيغلي وزملاؤه أن العوائل ذات الفاعلية السوية تتسم في ظروفها الانفعالية وأوضاعها المتأزمة بخصائص معينة مقارنة مع العوائل التي تخرج عن السواء عند التعرض للأزمات. وهذه الخصائص السوية هي:

١ ـ تقبل عامل الانفعال بشكل صحيح.

٢ ـ اعتبار الأسرة بؤرة المشكلة.

٣ ـ المبادرة لحل القضية باعتماد العلاج.

٤ ـ الحلم الزائد.

٥ ـ التعبير بوضوح عن الالتزام والمحبة.

٦ ـ اللجوء إلى العلاقات المفتوحة والفاعلة.

---

1. Figley.

٧ ـ التلاحم الشديد بين أعضاء الأسرة.

٨ ـ الأدوار الأسرية المرنة.

٩ ـ اللجوء إلى المصادر الفاعلة.

١٠ ـ تجنب العنف.

١١ ـ الاستغناء عن المواد المساعدة الهدامة.

وسيأتي لاحقاً شرح مقتضب عن كل من هذه الخصائص:

تقبل عامل الانفعال: بمقدور الأسر الفاعلة أن تتقبل وبسرعة بأنه لابد لها من مواجهة ظرف أو مجموعة من الأحداث الانفعالية، فقد تداهمهم مجموعة من الأحداث المأساوية لكن ظروفها سرعان ما تتحسن، فتعمد هذه العوائل لاستعادة طاقتها مستمدة مستلزمات اجراءاتها العملية من المصادر.

الأسرة بؤرة المشكلة: العوائل الفاعلة سرعان ما تبعد نواة المشكلة أو الانفعال عن الفرد أو عن أعضاء الأسرة فتعتبرها مشكلة العائلة ككل فاكتئاب الأم مشكلة تواجهها الأسرة برمتها لأنه نتج عن مجموعة من العوامل الانفعالية التي تؤثر في جميع أعضاء الأسرة، وعلى هذا ينبغي توجيه مساعي الأسرة نحو صقل شتى العوامل الانفعالية.

حل القضية باعتماد العلاج: تعمد العوائل الفاعلة حالاً لتحديد الفرد الذي ينبغي معاتبته فيما يخص الأزمة خلال فترة قصيرة لتسارع في اصلاح الموقف بالانتفاع من كافة مصادر الأسرة.

الحلم الزائد: يتحلىٰ أعضاء الأسرة الفاعلة في فترة الانفعال والأزمة بالحلم أكثر بكثير من الأوقات التي ينعمون فيها نسبياً بالهدوء والسرور لأنهم يعلمون جيداً أن البصيرة والصبر يدفعانهم للتفكير بشكل أفضل. وهذا الانسجام والتضامن الفكري يعتبر من مستلزمات التعاون والنشاط الجماعي.

التعبير بوضوح عن الالتزام والمحبة: يعرب أعضاء العوائل الفاعلة عن مشاعرهم والتزاماتهم ازاء بعضهم بوضوح بغض النظر عن عسر الظروف أو يسرها، وأعضاء مثل هذه العوائل في غاية السخاء من حيث الافصاح عن التعاطف والمودة اللفظية وغير اللفظية وإطرائهم على بعض.

اللجوء إلى العلاقات المفتوحة الفاعلة: لا يكتفي أعضاء الأسرة الفاعلة بالتعبير الواضح عن مودتهم والتزاماتهم ازاء بعض بل تتسم نقاشاتهم على المدى الكمي والنوعي بتفوقها عما تكون عليه لدىٰ العوائل العادية، فإنهم إلى جانب احترام حق الآخرين يهتمون بالزمان المناسب للقيام بكل من الأعمال وبالالتذاذ من التحادث معاً حول مواضيع مختلفة.

التضامن الأسري: يستأنس أعضاء العوائل الفاعلة بالتحادث مع بعض فيألمون للابتعاد عن بعضهم ويفخرون بانتمائهم إلى أسرهم فيتحدثون عن بعضهم باعتزاز. وتتعاظم أهمية هذا التضامن القيم لاسيما عند مواجهة الأسرة للأزمات، لأنهم يكونون في مثل هذه الظروف بحاجة إلى مساعدة جميع أعضاء الأسرة أكثر من أي زمان آخر.

الأدوار الأسرية المرنة: يؤدي كل من أعضاء الأسرة أدواراً عديدة

ومتنوعة داخل إطار العائلة، من قبيل: تـقديم العـون فـي أداء أعـمال المنزل، طلب الرزق والتصرف بالدخل، الارتباط بالأقارب والأصـدقاء والنشاطات الأخرى بما يدر بفائدة على الأسرة. ففي العوائـل الفـاعلة يتعهد أكثر من شخص واحد بهذه المهام لاسيما في الظروف المـتأزمة التي يفقد فيها أحد أو بعض أعضاء الأسرة فاعليتهم المؤثرة.

اللجوء الى المصادر الفاعلة: تتسم العوائل الفاعلة بقدرتها على اللجوء الى المصادر الداخلية للأسرة (مثل المصادر المادية والارتباطية) وكذلك المصادر الخارجية والظروف (الاختصاصية وغـير الاخـتصاصية) دون أدنىٰ صعوبة وبمعزل عن الارتباك، أي أنه بـمقدورهم الاعـتماد عـلى مصادر الأسرة الذاتية والبيئية في الظروف الخاصة.

تجنب العنف: يتجنب أعضاء العوائل الفـاعلة اللـجوء إلى اسـتخدام العنف ضد الذات أو الأسرة، بغض النظر عن حدة الانفعال والأزمة. من المسلم به أن تبلور الانفعالات الشديدة مـثل: العـويل والنـحيب عـند مواجهة الأزمات الشديدة أمر مألوف ومتوقع.

الاستغناء عن المواد المساعدة الهدامة: نحذر من اللـجوء إلى المـواد المساعدة الهدامة مثل: المخدرات، الكحول، السـجائر وحـتى الأدويـة المهدئة باعتبارها أسلوباً للتخفيف من حدة الأزمة أو الانـفعال. تـبادر العوائل السوية بمجرد التنبه لهذه المشاكل إلى اتخاذ الاجراءات اللازمة للتغلب عليها.

ب ـ الأساليب غير السوية لمواجهة الأزمات

تعمد العوائل غير السوية عادة إلى أساليب خاطئة لمواجهة الظروف الانفعالية والمتأزمة. يذكر فيغلي ومك كوبين[1] (١٩٨٣) بأن العوائل غير السوية تتسم بإحدى عشرة خصيصة (هي بشكل عام عكس الأساليب المتبعة من قبل العوائل السوية)، وهي:

١ ـ التنكر لعامل الانفعال.

٢ ـ الفرد بؤرة المشكلة.

٣ ـ حل القضية باعتماد اللوم والعتاب.

٤ ـ قلة الحلم.

٥ ـ التعبير غير الواضح عن الالتزام والمحبة.

٦ ـ اللجوء الى العلاقات المغلقة غير الفاعلة.

٧ ـ ضعف التلاحم الأسري.

٨ ـ الأدوار الأسرية غير المرنة.

٩ ـ اللجوء الى المصادر غير الفاعلة.

١٠ ـ استخدام العنف.

١١ ـ استخدام المواد المساعدة الهدامة (المخدرات).

---

1. Mc Cubbin.

الفصل الخامس

التوعية والمشاورة الأسرية

التوعية والمشاورة الأسرية:

تعريف التوعية الأسرية: هي التوظيف النظامي للعلوم، المهارات، الرؤى والقيم المؤثرة في نضوج وتكامل بني الإنسان في سياق أداء أدوارهم في كل مرحلة من مراحل الحياة الأسرية باعتبار كل منهم عضواً من أعضاء الأسرة. هذا في الوقت الذي تعتبر فيه الأسرة ذاتها المشاور الأول للحياة الأسرية لأنها تمد أعضاءها بأغلبية الرؤى، القيم، المشاعر وأنماط الحياة في الدار قبل بدء مرحلة تلقي التعليم الرسمي في المدارس بفترة طويلة. ولهذا تعتبر التوعية الأسرية عملية دائمية تستمر طوال الحياة.

ضرورة توعية المتزوجين الشباب:

تتضمن المناهج الرسمية وغير الرسمية للعوائل والوحدات الاجتماعية الأخرىٰ في أغلب الأحيان توعية المتزوجين الشباب، حيث

يفترض على المتزوجين الشابين نظراً لتأثرهما بثقافتين مـختلفتين (أو بانشعابين ثقافيين) تلقي التعليمات اللازمة لترقية مستوى القناعة والرضا وزيادة عوامل الطمأنينة عند تشكيل الأسرة. وبعض العوامل التي تـزيد من أهمية هذه الضرورة، هي:

١ـ تجنب تكرار أخـطاء الأبـوين والتـغلب عـلى العـادات السـيئة المكتسبة من العائلة الأصلية.

٢ـ تحديد إيـجابيات وسـلبيات الذات والجـانب الآخـر والشـعور بالمسؤولية ازاءها. وهذه المعرفة الادراكية والشعورية هـي التـي تـقرر نجاح الحياة الزوجية أو فشلها.

٣ـ اعتماد التوقعات الواقعية من الحياة الزوجية وتجنب التـوقعات الخيالية غير الواقعية.

٤ـ الإحاطة بالتوقعات من الذات، الزوج والحياة الزوجية والتي يقوم عليها أساس صرح الإيمان بالحياة.

والتوعية الأسرية تتيسر بأساليب متنوعة إضافة إلى الخبرات طويلة الأمد وغير الملحوظة التي يحوزها الفرد من حياته ضمن العائلة السابقة. ومن هذه الأساليب:

١ـ التوعية عن طـريق الدورات الرسـمية وغـير الرسـمية، تـوزيع الكراريس، عقد اجتماعات الاستفسار والإجابة، المناقشات الجـماعية، طرح المواضيع العامة و...

٢ـ الإرشاد والمناقشات الجماعية مع مجموعة من الآباء والأمهات لهم أبناء من فئات عمرية ودراسية متنوعة (ذوي الأبناء في مرحلة الرياض، الابتدائية، المتوسطة، الثانوية و...).

عوامل أخرىٰ تتطلب التوعية الأسرية:

ـ توعية الأسرة في عالمنا الحالي ضرورة لا تنكر.

ـ وصول التكنولوجيا إلى بلدان العالم الثالث وحدوث التحولات الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية والقيمية السريعة في المجتمعات النامية والغزو الثقافي الذي يشنه العالم الغربي (الدول المتقدمة)، كلها أمور تتطلب تعرف المدراء، الآباء والأمهات على آخر المستجدات في مجال التربية والتعليم مما يمكنهم من تربية أبنائهم باستخدام الأساليب التربوية الصحيحة مع الحفاظ على القيم الثقافية والاعتقادية التي يتبناها المجتمع، فالبيت والمدرسة وحدتان تربويتان هامتان ومصيريتا الفاعلية، يتمم أحدهما الآخر. واطلاع مسؤولي كليهما على القضايا التعليمية والتربوية يزيد من قيمة وفائدة عملهما. وهذا ما يستحق أن تخصص جميع الامكانيات العلمية، التعليمية والتنفيذية المتوفرة في المجتمع لانجاز هذه المهمة.

ـ يلقي الناس اللوم على الأبوين لما يصدر عن أبنائهما من الأطفال والناشئة من مشاكسات أو بسبب فشل هؤلاء الأبناء الذين يأتون على أنفسهم وكذلك على المدرسة والمجتمع بمشاكل كثيرة. ودورات التوعية

الأسرية من شأنها أن تنقذ مثل هذين الأبوين من هذه الحالة.

ـ يوجه أخصائيو الشؤون التعليمية والتربوية والصحة النفسية، العتب إلى الأبوين عند دراسة تبعات معاناة الناشئة من المشاكل العاطفية ـ النفسية أو آثار تورطهم في متاهات الجنوح.

ـ يعتبر المربون ومسؤولو المدارس عادة الأبوين وعدم تمتعهما بالوعي الوافي، السبب الأساس لفشل الطفل في الدراسة أو تركه الدراسة بأي دافع كان.

ـ يتلقى الأبوان اللوم والعتاب في الحالات التي يصاب فيها الأطفال بعاهات بدنية إثر التعرض لحادث ما أو في حالة معاناتهم من نقائص فسيولوجية تعود لمرحلة ما قبل الولادة وقد يعانون ذاتياً من مثل هذه الأحاسيس.

ـ إزدادت في الوقت الحاضر رغبة الأبوين في تلقي التعليمات الخاصة بالأسرة نظراً لازدياد اهتمامهم بالطفل، بشكل يبدو أكثر قيمة من الماضي.

ـ وأخيراً أو الأهم من كل هذا، تؤكد التعاليم الالهية الدينية على اكتساب المعلومات الكافية لادارة البيت ورعاية الأبناء بشكل صحيح وهذا ما يستلزم توعية الأسرة على نطاق أوسع.

هنا تطرح هذه الاستفسارات الأساسية:

ـ من يوجه الأبوين من خلال التوعية الرسمية وغير الرسمية؟

ـ ما هي المهارات اللازمة والمفيدة لانجاز هذه المهمة الزاخرة بالمسؤوليات؟

ـ أي مركز يتعهد بمسؤولية انجاز هذه المهمة؟

ـ ما هي المعايير والضوابط التي تقرر أين وكيف حصل الإهمال من قبل الأبوين في الحالات المختلفة؟

ـ كيف تتم توعية الأزواج بشأن أثر العوامل الوراثية، الجينية والشخصية إلى جانب الدور المباشر الذي يؤديه الأبوان؟

ـ ما هي المعايير التي تحدد صواب أو خطأ الأبوين في كل عمل يقومان به؟

نستنتج من هذا أن الأبوين يتعرضان للعتاب دوماً دون أن يتمتعا بالوعي والتوعية الكافية.

بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران آلت مختلف المنظمات والمراكز التربوية والتعليمية، الرسمية منها وغير الرسمية، على نفسها أن تجيب على هذه الاستفسارات الهامة والمصيرية، فغدونا نستقبل صعاباً مستحدثة تنبهنا إلى ما يواجهنا من طريق طويل يحتم بذل مساع كثيرة.

ومن المراكز التي تجهد في إيران للقيام بهذا العمل وتتحمل عبئاً يستحق التقدير في هذا المضمار هي الجمعية المركزية للأولياء والمربين التي تهتم أكثر من غيرها بانجاز هذه المهمة وفقاً لمنهج منسجم ونظامي فتقدمت خطى واسعة نحو الأمام على طريق الطاقم البشري (مشاوري

المدارس)، نشر الكتب والكراريس وغيرها من المطبوعات، عقد الندوات والمؤتمرات، البرمجة لتطبيق خطة شاملة تستهدف توعية الأجيال الشابة، اتخاذ الاجراءات التعليمية السمعية، البصرية والوجاهية، الجماعية أو الفردية و..

التوعية الأسرية وفاعليتها الخطيرة والحاسمة

تتمتع المواضيع التربوية بطابعها القيمي، فالمدرس أو الأخصائي مهما يجهد في غض النظر عن آرائه الخاصة إلا أن قيمه وأفكاره الشخصية تنتقل مع ذلك إلى المتعلم عن طريق أساليبه التربوية والتوجيهية. وهذا ما يحتم ضرورة تعهد أشخاص من ذوي الصلاحية بهذه المهمة.

ـ قد تنتقل القيم والأفكار المتنوعة عن مختلف الأشخاص بوسائط متباينة وهذا ما يعرض الأبوين في بعض الحالات للصراع. ولهذا ينبغي العمل على اتخاذ اجراءات أساسية ومتسقة من أجل تنسيق برامج الخدمات.

ـ يتركز عتاب وانتقاد الآباء والأمهات على أن برامج التوعية الأسرية، سواء الرسمية وغير الرسمية، تتطرق لعرض المشاكل وقلما تضع الطرق المناسبة لمعالجتها.

ـ تستوحىٰ من الأسباب الآنفة وغيرها من الحالات ضرورة العمل على تغيير الاساليب المتبعة في توعية الأسرة، وعلى وضع عدة أساليب للتعامل مع كل من القضايا المطروحة أيضاً كي يختار منها الفرد ما يناسبه

بحسب خصائصه الخاصة به.

- يتحتم العمل على تنسيق مناهج مختلف المراكز للتوعية الأسرية نظراً لتأثر الأفراد بسائر الاجراءات السائدة على نطاق أوسع في المجتمع خارج إطار الاجراءات التعليمية والتوجيهية. ولهذا يحبذ ضم هذه الاجراءات المتناثرة إلى بعضها تحت إشراف نظامي تتعهد به منظمة مركزية (مثل جمعية الأولياء والمربين) التابعة لوزارة التربية والتعليم التي تشرف بشكل عام على كافة العوائل في البلاد، وأن تتعهد هذه المنظمة إلى جانب برامج التعليم والتربية المباشرة بتوجيه خدمات سائر المراكز الأخرى.

الأسرة والمجتمع:

يتألف المجتمع من مجموعة من العوائل. ولهذا يرى الباحثون الاجتماعيون أن المبادرة إلى وصف خصائص أي مجتمع وصفاً دقيقاً يتطلب دراسة متعمقة وواضحة المعالم لنمط العلاقات الأسرية السائدة في ذلك المجتمع، فالأسرة هي الوحدة الأساس في تشكيل جميع المجتمعات البشرية، البدوية منها والمتقدمة، بغض النظر عن تباين الأدوار واختلاف المنظمات الأسرية فيها ـ من حيث الظاهر والنمط الدقيق ـ اختلافاً كبيراً، فمع ذلك تسود فيها مبادئ تحظى بالمقبولية من قبل المجتمعات وتتضمن الوظائف التي يتحتم أداؤها في الأسرة، ومنها مسؤولية «انتقال القيم الأخلاقية والاجتماعية» الخطيرة، فالأسرة في

الواقع همزة وصل فاعلة بين الفرد والمجتمع أي أن الأسرة بحد ذاتها تمثل مجتمعاً يخدم المجتمع الأكبر بأساليب مختلفة وفي الجوانب المتنوعة: الإدراكية، العاطفية، الأخلاقية، الاعتقادية، الاجتماعية الاقتصادية.

إذاً لا نغالي إن قلنا أن الأسرة أول مسؤول عن صلاح أو فساد المجتمعات. لأن الطفل يستلهم من الأسرة الأسس الفكرية التي تنشأ عنها الأفكار الدينية والاعتقادية ـ السياسية والاجتماعية والسلوكيات السوية وغير السوية. وبوسع الأسرة أن تغدو ينبوع خير وبركة للمجتمع أو مصدر الكثير من المفاسد والانحرافات الاجتماعية لأسباب تتعلق بنقائصها التربوية والأخلاقية.

الأسرة منظومة عاطفية ـ اجتماعية تتحكم فيها التعلقات الإنسانية المتبادلة وشبكة العلاقات العاطفية، فكل من أعضاء الأسرة يتأثر بالآخر والعوائل المرتبطة بعلاقات سوية ومفيدة ومتطبعة بالدفء والانسجام، التعاطف والتعاون، تهيئ بذلك الأرضية لتنامي جميع أعضائها وازدهار قابلياتهم ومواهبهم، والأسر التي يسودها جو نفسي غير سوي ينشغل أعضاؤها دوماً بالنزاع والخصام. ويشكل أطفالها الضحايا الأساسيين لهذه الظروف الأسرية غير السوية.

تولي أبحاث العقود الأخيرة اهتماماً متزايداً بالأنماط الارتباطية بين أعضاء الأسرة. وتبين معطياتها أن العلائق والارتباطات الأسرية متى ما

تعرضت للانحلال تغدو الأسرة عرضة للتهشم والانهيار وتهدد المخاطر أعضاءها في المجتمع. لا تتسبب أي من العوامل المختلفة في تبلور التبعات المدمرة بدرجة العلاقات غير السوية والمضطربة بين أعضائها لخلوها من الوئام والمحبة مما يهيئ الأجواء لتنامي السلوكيات اللاإجتماعية والجنوح.

تبين أبحاث الأخصائيين في طب النفس الأسري من أمثال جكسون وبيتسون (١٩٨٢) أن هنالك علاقة بين حالة المصابين بالفصام ووضع عوائلهم إذ تتبلور الأعراض المرضية في الجو الأسري، وهذا ما يستوجب عدم الاكتفاء بتغيير الفرد خلال العلاج وتوجيه اهتمام بالغ بتغيير أسلوب التعامل في الأسرة. إن الحياة الأسرية وبالنظر لمواجهتها، وباستمرار، المواقف العارضة والظروف الحياتية الصعبة، مثل: العطالة، المرض، الموت المبكر، الاضطرابات النفسية، الأمراض الجسمية المزمنة، حوادث السيارات و... فإنها بحاجة مستمرة إلى اتخاذ اجراءات إرشادية وتوجيهية عديدة كي تتمكن من التغلب على هذه المشاكل وتنجح الأسرة في المضي قدماً على طريق رقيها وتكاملها.

والكثير من الشباب، نساء ورجالاً، يقبلون للأسف على تشكيل الأسرة دون استعداد مسبق وحيازة معلومات وافية عن وظائفهم وواجباتهم في الحياة الزوجية. ولهذا تطرح مناهج التوعية الأسرية نفسها باعتبارها ضرورة مسلمة لا لبس فيها.

المشاورة الأسرية:

يسود في أيامنا هذه الإيمان بضرورة مراجعة الأخصائي بأسرع ما يمكن عند الشعور بالآلام الجسمية وبحتمية الاستعانة بمحام ضليع عند التعرض للقضايا والمشاكل والخلافات المدنية. إذاً أصبح اللجوء إلى المهن الاختصاصية لمواجهة ومعالجة المشاكل المعقدة في الحياة أمراً بديهياً استحصل اليقين على نطاق واسع. والاستثناء الوحيد الوارد على هذه القاعدة هو أن الناس في أغلب، أو أحياناً في جميع الحالات يؤمنون بقدرتهم على مواجهة القضايا والمشاكل الشخصية، المبادرة للزواج ومعالجة المشاكل الأسرية دون الاستعانة بالغير وأنهم في غنى عن الآخرين في هذه الظروف. والحال هي أننا جميعاً نشعر في مراحل من الحياة بحاجتنا إلى التشاور مع الأخصائيين وتلقي العون والتوجيه منهم فيما يخص القضايا التي نعجز عن معالجتها شخصياً. وقد طرح في الوقت الحالي دور المشاور في توجيه الأسوياء نحو التوافق والتكيف ومواجهة مختلف أنواع مشاكل الحياة، ومنها المشاكل الأسرية، الزوجية، الدراسية، المهنية وحتى المشاكل الخاصة بالشخصية، سواء في إطار طرق الوقاية أو العلاج.

من شأن التوعية والمشاورة بأشكالها المتنوعة أن تتعهد بمسؤولية توجيه العوائل خلال الأزمات الشخصية وكذلك في عملية التنامي والتكامل الأسري. ونشير هنا إلى بعض من هذه الأشكال:

ـ الإرشاد والمشاورة في مجال النظريات والأبحاث الخاصة بالتنامي.

ـ المشاورة فيما يخص تجنب العاهات الذهنية والجسمية.

ـ المشاورة حول الزواج في مضمار التعرف على الزوج وانتخابه.

ـ المشاورة قبل التأهب لإنجاب الطفل الأول.

ـ المشاورة لتجنب تعرض الأبناء للقضايا التربوية والأخلاقية ومعالجة هذه القضايا.

ـ المشاورة حول التنظيم الأسري وتحديد التسلسل العمري للأبناء.

ـ المشاورة حول معالجة المشاكل الزوجية والأسرية.

أبحاث العلاج الأسري

تستشعر الحاجة إلى التحقيق حول العلاج الأسري منذ أمد بعيد واتخذت أكثرية الأبحاث الأولية في دائرة العلاج الأسري الطابع التوصيفي، فتباحث المحققون موضوع الأسرة من وجهات نظر متنوعة أي أن العلاج الأسري هو نتاج الأبحاث والتحقيقات الأسرية التي تركز أغلبيتها في الماضي حول عوائل المصابين بالفصام النفسي من أجل التوصل إلى طرق مناسبة لعلاج الفصاميين. ثم تغير مسار التحقيقات لتتضمن دائرة أوسع نطاقاً من المشاكل الأسرية. اقترح فيليب باركر (١٩٨٦) الموضوعات التالية للأبحاث الجارية في هذا المضمار:

١ ـ التقييم، الوصف والتصنيف، فلكل من الأسر كما هو الحال في الأشخاص، خصائص شخصية أو مشاكل متشابهة. وتقييم العوائل

وتصنيفها إلى «سوية وغير سوية» اجراء تفوق صعوبته «تقييم الأشخاص وتصنيفهم» إلى حد بعيد.

٢ ـ ينبغي أن يكون وصف وتقييم عملية (العلاج ـ التحقيق) في الطب الأسري شاملاً ومتكرراً كي يتحدد الطابع والنمط المتبع في العلاج بشكل مناسب.

٣ ـ تقييم النتائج: وهو عبارة عن قياس التغييرات الطارئة في مراحل العلاج، ولهذا يتحتم تقييم أثر العلاج في الفاعلية العامة للأسرة وكذلك في جميع أعضاء الأسرة.

وإضافة إلى الموضوعات المذكورة تظهر بوضوح ضرورة إجراء الأبحاث والتحقيقات في الحقول الاختصاصية مثل فاعلية الطب الأسري في علاج الاضطرابات النفسية ـ الجسمية، الإدمان و...، كما أن تجنب تعرض الأسرة للأضرار موضوع يتطلب تقييماً في غاية الدقة العلمية ليتمكن المشاورون والمعالجون الأسريون ـ بناء على معطيات هذه الأبحاث والتحقيقات ـ من اتخاذ خطوات إيجابية على صعيد تحسين وتطوير فاعلية الأزواج والعوائل.

مراكز المشاورة الأسرية

يعود قدم مناهج إعداد المشاورين في إيران إلى ثلاثين سنة مضت. ومع أن هذه المناهج لم تنجح بعد لتوفير إمكانية نيل التخصص في المشاورة حول الزواج والعلاج الأسري على صعيد الدراسات الجامعية

إلا أن المشـــاورين مـن حـملة شـهادة البكـالوريوس أو المـاجستير بمقدورهم ممارسة العمل في هـذا المـجال بـعد الانـضمام إلى دورات اختصاصية خاصة.

ويـعتبر تأسـيس وتـنامي مـراكـز المشـاورة مـن أهـم الخـطوات والمسؤوليات التي أخذت الحكومة الإسلامية على عاتقها الاهتمام بها بغية توفير إمكانية توجيه العوائل نحو التنامي السوي والهادف وازدهار مواهب جميع أعضاء الأسرة وتجنب الاختلالات والانحرافات الفردية (الشخصية) والاجتماعية. بناء على هذا بادر المكتب الرئاسي لجـمعية الأولياء والمربين في إيران إلى تفهم هذه الضرورة (أهمية المشاورة قبل الأسرة) بشكل صحيح والعمل على إعداد المشاورين من ذوي الصلاحية الكافية وتحديث معلوماتهم.

وقد جهدت هذه الجمعية من خلال تأسيس المراكز العديدة للمشاورة حول الزواج في مختلف أنحاء البلاد لتلبية أهم الاحـتياجات النـفسية والاجتماعية لأبناء المجتمع فيما يخص أمـر الزواج وتأسـيس العـائلة وكذلك توجيههم لمعالجة المشـاكل وبالتالي ضمان الصحة النفسية للأسرة والمجتمع.

من المسلم به أن نجاح وفاعلية مـراكـز المشـاورة رهـن بـانضمام المشاورين ممن صلح حالهم من الأخصائيين الضليعين للعمل فيها إذ يعد المشاورون الأسريون تلقائياً ـباعتبارهم أنماطاً لائـقة ونـزيهة ـ أمـناء أسرار العوائل الذين يحملون رسالة هامة فـي مـجال إعـداد الأنـماط

السلوكية السوية وتوجيه أبناء المجتمع فكرياً وعملياً.

ويكفي لاستبانة وجهة نظر الإسلام حول أهمية المشاورة أن الله علا شأنه أوصى نبي الإسلام العظيم محمداً ﷺ ـ وهو أتم بني الإنسان كمالاً على وجه الأرض ـ بالمشورة والتشاور: ﴿وشاورهم في الأمر..﴾[1].

ونظراً للأهمية البالغة لأمر المشاورة وخطورة فاعليتها من جهة ولقدسية الرباط الزوجي والمكانة الرفيعة لصرح الأسرة من جهة أخرىٰ تتضاعف الوظائف والمسؤوليات المشتركة الملقاة على عاتق المشاورين حول الزواج والمعالجين الأسريين، فإضافة إلى التخصص يفترض أن يتمتع المشاور الأسري بخصائص وسمات بارزة تجعله مركز ثقة واطمئنان المجتمع والعوائل. ومن هذه الخصائص يمكننا الإشارة إلى الإيمان والالتزام، كتمان السر، الحلم، التمتع بالصحة النفسية وبالشعور الإنساني.

خصائص المشاورين الأسريين ومسؤولياتهم

إن التعقيد الذي تمتاز به مختلف نواحي الحياة في عالمنا الحديث والتقدم المتزايد في العلوم التقنية من جهة والاضطرابات والمعاناة النفسية والسلوكية وتزعزع نظام القيم الأخلاقية والاعتقادية في المجتمعات

---

١ ـ سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

المختلفة من جهة أخرى، أمور تتطلب التأكيد على أهمية المشاورة والدور الحاسم للمشاورين الأسريين أكثر فأكثر. جاء في البند العاشر من دستور الجمهورية الإسلامية في إيران:

«بما أن الأسرة هي وحدة أساسية من المجتمع الإسلامي، ينبغي أن تندرج جميع القوانين واللوائح والخطط المتعلقة بها في سياق تيسير أمر تأسيس الأسرة، صيانة قدسيتها وثبات العلاقات الأسرية على أساس الحقوق والأخلاق الإسلامية».

ومن شأن خدمات المشاورة الاختصاصية في هذه الظروف أن توجه العوائل على صعيد ضمان الصحة النفسية وتوفير أرضية التنامي والنضوج الشامل لأعضاء الأسرة لاسيما تنامي وازدهار مواهب أبنائها الإبداعية.

ومما يساعد على تحقيق هذه الأهداف ونجاح مراكز المشاورة، هو وجود مشاورين من الأخصائيين الواعين، الملتزمين والمؤمنين، تمكنهم هذه المزايا من التعهد برسالتهم المهنية الهامة باعتبار كل منهم مربياً واسوة لائقة. أما في النظام السماوي فإن التعاليم الإسلامية تؤكد على المشاورة على أنها ضرورة حياتية اجتماعية وحاجة فطرية إنسانية، فإضافة الى دساتير القرآن والسنة النبوية فقد شدد قادتنا الدينيون أيضاً على تبيين أهمية وضرورة المشورة، وخصائص المشاورة بشكل شامل ووافٍ، فالتشاور مع الأشخاص اللائقين، من وجهة نظرهم، هي كالتفكر والتدبر في خلق السماوات والأرض.

وعلى هذا تأتي المشاورة، وخاصة مع العوائل، وإرشادهم وتوجيههم بما فيه الخير والصلاح على رأس قائمة أهم القضايا في مجتمعنا الإسلامي. اضافة إلى التمتع بالخصائص والمعلومات الاختصاصية التي أسهب الحديث عنها في الكتب والمصادر العلمية. وعلى المشاورين بغية حيازة شخصية ناجحة وموثوق بها من قبل العوائل، التحلي بخصائص أخرىٰ أيضاً.

القضايا الأخلاقية في المشاورة الأسرية

تعتبر الاحتياطات الشرعية والقضايا الأخلاقية جزءاً لا يتجزأ من مهنة المشاورة حول الزواج والأسرة، لأن المشاورين حول الزواج والأسرة يؤكدون على المنظومة الأسرية باعتبارها المراجع (الزبون) في مهنتهم وأي تغيير في نمط التفكير بشأن المنظومات الارتباطية يستتبع بروز قضية أو معضل أخلاقي تظهر لوائحه منذ الجلسة الأولية من العلاج. وبسبب الطابع المعقد لهذه المهنة يسود الاعتقاد بأن المشاورين الأسريين والعاملين في حقل طب النفس الأسري يواجهون من الصعاب الكامنة في مهنتهم أكثر مما يواجهه غيرهم.

ويشير هوبر[1] (١٩٩٤) إلى بعض الملاحظات في المشاورة حول الزواج والعلاج الأسري كما يلي:

---

1. Houber.

١ ـ هل يسع المعالجين أن يفترضوا عفوياً أنه يحق لهم تعريف مشاكل الأزواج والعوائل بحسب اتجاهاتهم العلاجية؟

٢ ـ إلى أي حد يحق للمعالج أن يدعو أهم أعضاء الأسرة أو الخارجين عن نطاق الأسرة لحضور جلسات العلاج؟

٣ ـ أينبغي ترك الزوج أو شريك الحياة أو سائر أعضاء الأسرة ممن يستلزم توجيههم دون علاج لمجرد امتناع أحد أعضاء الأسرة عن المساهمة؟

٤ ـ هل يفترض على المعالجين ضبط الأزواج والعوائل؟ وإن كان الأمر كذا فإلى أي مدى يحق له فرض التغيير على منظومة العلاقات بين أعضاء الأسرة؟

٥ ـ ما هو مدى الضغوط المسموح له أن يفرضها على المنظومة الأسرية بغية التوصل لمثل هذا التحول؟

٦ ـ ما هي الحدود الأخلاقية التي تحدد دائرة عمل المعالج وحقه في اللجوء إلى الأساليب المختلفة؟

٧ ـ كيف يمكن تقصّي التبعات الأخلاقية للمشاورة أو العلاج وأثرهما على الزوجين أو العوائل؟

بما أن التوجيه الأخلاقي لا يرتبط ـ بالضرورة ـ مباشرة بالمشاورة الأسرية، سواء الفردية أو الجماعية، حددت الجمعية الدولية للمشاورين حول الزواج والأسرة، مجموعة من المبادئ الأخلاقية، أكدت على

الالتزام بها خلال المشاورة حول الزواج أو العلاج الأسري. ومن أهم هذه المبادئ: كتمان المعلومات عن العلاقات المتبادلة، التحقيق، حيازة التخصص وتأهل المشاور مهنياً. (كابلان[1]، ١٩٩٣).

وآخر الملاحظات الأخلاقية الواردة على صعيد المشاورة حول الزواج والعلاج الأسري هو ما يتعلق منها بترقية أو تنمية الاختصاصات المتباينة في هذا المضمار.

وقد أقرت الجمعية الدولية للمشاورين حول الزواج والأسرة (كابلان ١٩٩٣) حق المعالجين في حيازة الاختصاصات التالية في المجالات المختلفة:

المشاورة حول الزواج، المشاورة بين الأجيال، المشاورة حول الطلاق، المشاورة حول قيمومة الأبناء، المشاورة مع العوائل المنهارة (المحرومة من أحد الأبوين)، المشاورة مع العوائل المتضمنة زوج الأم أو زوجة الأب، المشاورة مع العوائل غير التقليدية وأنماط الزواج، منظومات الأسرة السوية وغير السوية، الزواج البيثقافي، العوائل المحرومة من القيّم وغيرها. وكل هذه الحقول تدخل بشكل خاص في إطار اختصاص المشاورة حول الزواج والأسرة.

---

1. Kaplan.

مصادر الكتاب

١ ـ القرآن المجيد.

٢ ـ رعاية الحقوق الزوجية ومعايير اختيار الزوج لآية الله ابراهيم أميني، ١٩٩٢، دار الاعلام الإسلامي. (كتاب مطبوع باللغة الفارسية).

٣ ـ دراسة آراء طلبة جامعة (إعداد المدرسين) بإيران حول الزواج، محمد رضا أصغري، ١٩٩٥.

٤ ـ «مبادئ العلاج الأسري» لفيليب باركر.

٥ ـ «الأسرة» لبرادشاو.

٦ ـ التعرف على حقوق الأسرة وقوانينها ليد الله جهانجرد، ١٩٩٦، المكتب الرئاسي لجمعية الأولياء والمربين.

٧ ـ علم الاجتماع الأسري، باقر ساروخاني، طهران، ١٩٩١، مطبوعات سروش.

٨ ـ توعية الشباب في أعتاب الزواج، لجنة الخطة العامة للتوعية والمشاورة الأسرية في ايران، ١٩٩٥، مطبوعات جمعية الأولياء والمربين في الجمهورية الإسلامية في إيران.

٩ ـ دراسة وجهات النظر الفاعلة حول زواج طلبة الحقول الطبية من جامعات إيران (بيان تحقيقي)، نور أحمد لطيفي وجعفر كاملي وآخرون، ١٩٩٥، إعداد مكتب ممثلية قائد الثورة الإسلامية (حفظه الله).

١٠ ـ مجموعة مقالات ومحاضرات حول الزواج والأسرة، شكوه نوابي نجاد.

١١ ـ الأسس النظرية في شخصية المرأة، شكوه نوابي نجاد، ١٩٩١.

١٢ ـ الأخلاق في الدار، آية الله حسين مظاهري، ١٩٩١، مطبوعات دار العلم.

References

1_ Barker, philip (1981) Treating families with specials needs Ottawa, Canadian Social Workers.

2_ Bornstein, P. Bornstein M., (1986), Marital therapy, pergunmon press, N.Y.

3_ Burgess, E.W. and others, (1975) Engagement and Marriage, Philadelphia Lippincott Co.

4_ Carlson, J. (1993) Counseling and Therapy for Couples and Families, Vol.l. No.l.A.M.F.C.

5_ Charles R. Figley, (1989), Helping Traunatized Families, Oxford, Jossey - Bass Pubishers.

6_ Corey Gerald. (1996). Therapy and Practice of Counseling and Psychotherapy. passific Grove C.A.

7_ Duvall. E. (1982), Faith in Families, Rand Mcnally Co.N.Y.

8_ Ellis, A. and others, (1989) Rational Emotive Couples therapy. Pergamon press. N.Y.

9_ Journal of Counseling and Development Vol. 74-76, 1955.

10_ L` Abate, L. Ganahl, G. and Hamse, N.Y. (1986)

Method of Family Therapy prentice Hall, N.J.

11_ Lynn Hoffman, (1967), Technique of Family Therapy, New york, Basic Books.

12_ Napier, A.Y. and Whilakev.C. (1977) The Family Gruncible, Harper and Row publishers N.Y.

13_ Olson, D. and others, (1989) Families, Saye Publication London.

14_ Smith, C. and others, (1990), Dysfunctional Families, A.A. C.D. Convention, Ohio.

الفهرس

الفصل الثاني: الأسرة

الفصل الثالث: المشاورة حول الزواج

الفصل الرابع: العلاج الأسري

المشاورة حول الزواج و العلاج الأسري



دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٠١/٥٤١١٩٩

ص.ب: ٢٥/٢٨٦ الغبيري - بيروت لبنان

E-mail: daralhadi@daralhadi.com

URL: http://www.daralhadi.com